

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية



مذكرة ماستر

تخصص : أدب حديثه و معاصر
الرقم: ح27

إعداد الطالبة:
سارة هروشة

صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار" لإبراهيم سعدي

لجنة المناقشة:

رئيسا	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	حسان زرمان
مناقشا	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	شهيرة برباري
مشرفا مقررا	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	حكيمه سبيعي

السنة الجامعية : 2019 - 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و اعتراف

نبدأ بحمد الله أقصى مبلغ الحمد والشكر لله من قبل ومن
بعد والصلاة على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم
نتوجه بالشكر الخاص إلى الأستاذة حكيمة سبيعي التي ظلت
تستقبلنا بكل صدر رحب ترشدنا وتوجهنا حتى نهاية البحث
فلما منا جزيل الشكر والامتنان
اعترافاً بمجهوداتها العظيمة
كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث
من قريب أو بعيد

الأفكار ليست شعارات ينبغي الدفاع عنها، أو مقولات صحيحة ينبغي تطبيقها، بقدر
ماهي أدوات لفهم الحدث وتشخيص الواقع.

علي حرب

مقدمة

شكل المثقف عنصرا أساسيا في البنية الاجتماعية للأمم والمجتمعات مهما اختلف جنسها أو عرقها، فلا يمكن للأمة أن تبني صرح النهضة والازدهار إلا بمعول المثقف، ولا يمكنها أن تحارب الجهل والظلم إلا بقلمه وصوته.

ولما كسّر المثقف معوله ولجأ إلى الصمت ليتبني غيره صوته انهارت الأمم فغدت تتخبط بين حدود الصراعات والجهل والتخلف.

ونظرا للدور الذي تضطلع به الرواية في تقديم تصور متخيل للواقع والمجتمعات انطلاقا من وقائع وأحداث حقيقية، جاءت ضرورة خلق عمل ابداعي يعبر عن حالة هذا المثقف ووضعه داخل المنظومة الاجتماعية المعاصرة والمتأثرة بوقائع طارئة.

فظهر في الساحة الأدبية كم كبير من الروايات التي عالجت موضوع المثقف، وقد اختلف كتاب هذه الانتاجات الأدبية في رسم صور مختلفة للمثقف منها ما عرف دراسات نقدية متنوعة، ومنها ما لم يحض بالدراسة والتحليل، ومن هذا المنطلق جاء اختيار لمدونة "كتاب الأسرار" لإبراهيم سعدي وذلك بهدف تسليط الضوء على كتابات هذا الكاتب وكذلك لندرة الدراسات النقدية حول هذه الرواية، ولأن هدفنا أيضا تتبع صورة المثقف داخل الرواية جاء بحثنا موسوم بـ: **صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار" إبراهيم سعدي** يهدف للإجابة عن التساؤلات التالية:

ما الصورة الروائية؟ كيف صور إبراهيم سعدي المثقف في روايته؟ ما الأسباب التي جعلت المثقف يركن إلى الصمت والعزلة حسب تصور الكاتب؟ ما أبرز التقنيات التي ساعدت على تشكل صورة المثقف داخل الرواية؟

وفي سبيل تقصي الإجابة اعتمدنا على مجموعة من المناهج والآليات كان منها: المنهج النفسي، آليتا التحليل والوصف.... دون أن نفصل بينها لأنها مكملة لبعضها البعض.

كما وضعنا خطة تتضمن مقدمة، مدخل، فصلين وخاتمة: بحث حوى المدخل مجموعة من المفاهيم لكل من الصورة والمتقف، في حين تناول الفصل الأول تجليات صورة المتقف في رواية "كتاب الأسرار"، ورصد هذا الفصل كل نماذج المتقف التي رسمها إبراهيم سعدي (المتقف المغترب، المتقف الناقد يتحول إلى مناضل فاشل، المتقف الصوفي، المتقف التراثي، المرأة المتقفة من التبعية إلى انفصال الذات)، وقد خصصنا الفصل الثاني للوقوف على مظاهر التجريب وتشكل صورة المتقف داخل الرواية حيث جاء هذا الفصل في أربع عناصر هي: (المخطوط وشكل رواية "كتاب الأسرار"، تعدد الرواة وهاجس الكتابة عند المتقف...، انفتاح الرواية على الأجناس النثرية واغتراب المتقف...، حضور الحدث التاريخي في رواية "كتاب الأسرار" وتمرد المتقف) لتأتي الخاتمة أخيرا حيث أدرجنا فيها كل النتائج التي توصلنا إليها في نهاية البحث.

وقد لجأنا في هذا البحث إلى مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: رواية "كتاب الأسرار" لإبراهيم سعدي بالإضافة إلى كتاب "بناء الصورة في الرواية الاستعمارية" لمحمد أنقار، كتاب "صورة المتقف في الرواية الجديدة" لهويدا صالح، وكتاب "شخصية المتقف في الرواية العربية السورية" لمحمد رياض وتار.

وإن كان لا بد من ذكر بعض الصعوبات التي استطعنا تجاوزها لإنجاز بحثنا فقد تمثلت في اختيار المنهج المناسب لتقصي الصورة الروائية وتتبعها داخل المتن الروائي.

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة "حكيمه سبيعي" التي لم تبخل علينا بأي ملاحظة أو توجيه لإعداد هذا البحث.

مدخل: ضبط المفاهيم

1- مفهوم الصورة الروائية:

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2- مفهوم المتقف:

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

1- مفهوم الصورة الروائية

أ/ لغة:

لفظ الصورة مشتق من الفعل (صَوَّرَ) والذي جاء في لسان العرب تحت مادة (ص و ر) بمعنى >> صور: في أسماء الله تعالى: المَصَوَّرُ هو الذي صَوَّرَ جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة تتميز بها على اختلافها وكثرتها (...). الصورة في الشكل (...). وفي حديث ابن مقرن: أما علمت أن الصورة محرمة؟ أراد بالصورة الوجه (...). وتصوَّرت الشيء: توهمت صورته فتصور لي. والتَّصَاوِيرُ: التماثيل (...). الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته. ويقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته <<¹.

جاء في معجم نور الدين الوسيط كلمة صورة في مادة (ص و ر) بمعنى : >> الشكل، الوجه، الصفة، الهيئة، وصورة الشيء: خياله في الذهن أو العقل <<². الصورة لفظ مشتق من الفعل صَوَّرَ، لفظ يدل على شكل الشيء، هيئته، صفته، وخياله في الذهن...

ب/ اصطلاحاً :

تتعدد التعريفات الاصطلاحية للصورة، بتعدد أنواعها وباختلاف المجالات المعرفية التي تنتمي إليها من الصورة الشمسية فالصورة الفوتوغرافية، الصورة الكاريكاتيرية، وصولاً إلى الصورة الأدبية التي تضم الكثير من الأنواع مثل الصورة الشعرية، الصورة البلاغية والصورة البيانية ... كذلك الصورة السردية.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج4، دار الصادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، المادة (ص و ر)، ص 473.

² عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2009، ص 798.

سنقتصر في بحثنا هذا على إيراد تعريفات للصورة السردية وتحديد الروائية منها، حيث >> تتدلق الصورة في متن ما. وتحديد هويته ذلك المتن، من خلال نمذجته، وتجنيسه هو الذي يسعنا بالإمكانات المتاحة لمعالجة تلك الصورة بحسب ما يقتضيه ذلك المقام أو السياق>>¹ فالصورة الروائية تندرج تحت إطار الصورة السردية إلا أنها تأخذ خصوصيتها بانتمائها إلى الجنس الروائي.

يرى محمد أنقار في كتابه "بناء الصورة في الرواية الاستعمارية" أن الصورة الروائية هي التي >> تستقي بعض حدودها العامة من اللغة والفلسفة والبلاغة، وبعضها الآخر من مجالات الحسية والتخييل والتلقي >>².

الصورة الروائية هي >>نقل فني ومحاولة لتجسيم الواقع الخارجي بواسطة اللغة>>³، فهي تتشكل وتتجلى عن طريق اللغة وبواسطتها تنقل للمتلقي .

كما أنها تنتج عن طريق الخيال وإعادة تشكيل الواقع في بنية سردية محددة، فالصورة الروائية >> هي نتاج ثري لفعالية الخيال الذي لا يعني نقل العالم أو نسجه وإنما إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكافية بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة >>⁴.

الصورة الروائية لا تعني أن يقوم الكاتب بوصف الأشياء وصفا ماديا كما يراه في الواقع بل أنها >> تحاكي الأشياء وفق منطق اللاشعور (...). بهذا المعنى تصبح انسراب

¹ عبد اللطيف الزكري، وظيفة الصورة في الرواية النظرية والممارسة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2016، ص 35، 36.

² محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية "صورة المغرب في الرواية الاسبانية"، مكتبة الادريسي للنشر والتوزيع، تطوان، المغرب ط01، 1994، ص13.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ المرجع نفسه، ص 15.

الصوت الباطني معبرا عن ذاته <<¹، كما تأتي الصورة >> معبرة عن أفكار، وليست في شكل أوصاف للأشياء وحسب (...). مثقلة بالدلالات، قابلة للانفتاح على كل الاتجاهات <<².

فالصورة الروائية غالبا ما تكون تحمل أفكار وآراء الكاتب حول موضوع معين مما يكسبها مجموعة من الدلالات العميقة، أو تكون عبارة عن ردة فعل الكاتب على مظهر أو موقف شاهده لأن >> جوهر الصورة - كما يسعى إلى تخليدها الكاتب - لا يكمن فقط في الوجود العيني، بل أساسا في الأثر الذي ينجم عن ذلك الوجود، لا باعتباره في ذاته بل من حيث هو وجود من أجل شيء ما <<³.

يجدر أن نشير إلى أن الصورة الروائية >> ليست اعتباطية بل خاضعة لمنطق يتحكم بدقة في مظاهر ترابط المكونات وبذلك تتشكل، مثلما تتشكل أية صورة فنية في نسق يصبح هو كونها ونسغ وجودها <<⁴.

الصورة الروائية عبارة عن أداة فنية بواسطتها يعيد الكاتب تشكل الواقع عن طريق التخيل، تأتي معبرة عن أفكاره وآرائه تتجسد عن طريق اللغة ضمن نسق روائي محدد.

¹ عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط01، 2009، ص 14-15.

² المرجع نفسه، ص 15.

³ شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية و القصة و السينما، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط01، 2010، ص 56.

⁴ المرجع نفسه، ص 32.

2- مفهوم المثقف

أ/لغة:

لفظ المثقف مشتق من الفعل (تَقَفَ) والذي جاء في لسان العرب تحت مادة (ث ق ف) بمعنى >> تَقَفَ الشَّيْءُ تَقْفًا وَتَقَافًا وَتَقُوفَةً: حَدَقَهُ. وَرَجُلٌ تَقْفٌ وَتَقْفٌ وَتَقْفٌ: حَازِقٌ فَهْمٌ (...). رَجُلٌ تَقْفٌ لَقْفٌ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَائِمًا بِهِ. وَقَالَ: تَقَفَ الشَّيْءُ وَهُوَ سُرْعَةُ التَّعَلُّمِ (...). وَهُوَ غُلَامٌ لَقِنَ تَقْفًا أَي ذُو فِطْنَةٍ وَذَكَاءٍ، وَالْمُرَادُ ثَابِتُ الْمَعْرِفَةِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ<<¹.

أما في معجم نور الدين الوسيط فقد جاء لفظ المثقف بمعنى >>الحاذق، السريع الفهم، المتضلع في علوم عصره وآدابه وتقاليده، وما يتصل به من غير أن يكون متخصصا في هذه الفروع، كالجاحظ، مثلا في العصر العباسي، وكعبد الله العلي في العصر الحديث<<².

المثقف لفظ مشتق من الفعل الثلاثي ثقف، لفظ يدل على إنسان يحمل مجموعة من الصفات هي: الحذق، الفهم، سرعة الإدراك، المعرفة ...

ب/ اصطلاحا:

مصطلح المثقف يحيلنا إلى مفاهيم متعددة والتي قد تتفق في أجزاء منها وتتعارض في أخرى، يرجع ذلك إلى ارتباط ظهوره وتبلوره بمفهوم الثقافة الذي يعد مفهوم زئبقي ومرن لا يمكن التحكم فيه. فالثقافة حسب ما جاء في كتاب "مشكلة الثقافة" لمالك بن نبي

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج9، المادة (ث ق ف)، ص 19.

² عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، ص 996.

>> مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه <<¹.
أي؛ هي المحيط الذي ينشأ فيه الإنسان ويكتسب من خلاله طباعه ويكون شخصيته؛ إذ إنها >> تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعقوبات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف، وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سميتها الخاصة ويحدد قطبيتها <<².

الثقافة هي مجموعة من العادات والقيم المتكاملة والمتجانسة والتي تشكل محيط ينشأ فيه الانسان يكتسب من خلاله طباعه ويكون شخصيته، كما تشكل هذه العادات والقيم مميزات بارزة لحضارة ما.

أما مفهوم المثقف فقد اتفق أغلب المفكرين والنقاد أنه لم يظهر بشكله الواضح وطرحه العميق إلا مع أنطونيو جرامشي "Antonio Gramsci" في كتابه "دفاتر السجن" أو كما ترجمه بعضهم "مذكرات السجن"، الذي وقف فيه على هذا المفهوم بعد أن قسمه إلى نوعين: >> الأول يضم المثقفين التقليديين مثل المعلمين الكهنة والإداريين، وهم الذين يستمرون في أداء ذلك العمل نفسه جيلا بعد جيل <<³.

أما النوع الثاني فقط أطلق عليه اسم المثقف العضوي وهو >> صاحب العقل والمفكر المرتبط بصورة مباشرة بالطبقات أو المشاريع ذات مصالح محددة، والتي توظف المثقف لتنظيم مصالحها أو في احكام السيطرة والمزيد من السلطة وأدرج جرامشي ضمن هذه الفئة التقني والخبير والمتخصص <<⁴.

¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2012، ص 74.

² المرجع نفسه، ص 77.

³ ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد العناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2006، ص 33.

⁴ هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2013، ص 21.

المتقف العضوي هو ذلك المتقف المرتبط بفئة أو طبقة معينة، المنتج للأفكار التي تخدم هذه الفئة وتنظمها وتسيطر عليها.

الملاحظ من خلال هذا التقسيم أن جرامشي يؤكد أن >> كل إنسان يقوم من خلال مهنته بنوع من أنواع النشاط الفكري، فهو متقف يسهم في خلق رؤية للعالم<<¹.

المتقف حسب جرامشي هو كل من يمارس عملا داخل مجتمعه سواء أكان عملا يدويا(كالفلاح أو الحرفي ...) أو عملا ذهنيا (كالمعلم، السياسي، الكاتب ...) يساهم في تكوين الثقافة ويؤثر فيها .

ذهب بعض الدارسين إلى اعتبار المتقف >> الشخص الذي درس ووصل إلى مستوى معين من التعلم يسمح له بالتفكير وتفهم كثير من الأوضاع والمسائل المرتبطة باختصاصه<<².

كما شاع أن المتقف هو كل شخص متعلم من وصل إلى مستوى علمي أو ذلك الشخص الذي يحمل شهادة جامعية و فقط، غير أن علي الوردى يفرق بين المتعلم والمتقف إذ يرى أن المتعلم >> هو من تعلم أمورا لم تخرج عن نطاق الإطار الفكري الذي اعتاد عليه منذ صغره. فهو لم يزد في العلم إلا ما زاد في تعصبه وضيق في مجال نظره. هو قد آمن برأي من الآراء أو مذهب من المذاهب فأخذ يسعى وراء المعلومات التي تؤيده في رأيه وتحرضه على الكفاح في سبيله<<³.

¹إسماعيل صبري عبد الله، المتقف الراهن والمأمول، ضمن كتاب: مؤنسات الثقافة، بشير خلف، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين ميلة، الجزائر، د.ط، 2013، ص30.

² عمار بلحسن، أنتلجنسيا أم متقفون في الجزائر؟، دار الحدائث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1986، ص90.

³ علي الوردى، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة، شركة الزواق للنشر المحدود، بيروت، ط05، 2017، ص44.

أما المثقف يرى أنه يتفرد بتلك القدرة على تلقي كل ما هو جديد وبمروية رأيه وفق ما يقتضيه الموقف، لا يوقن بصحة رأيه لأن معيار الصحة غير ثابت ويتغير من وقت لآخر.¹

يرى ادوارد سعيد أن المثقف >> فرد يتمتع بموهبة خاصة تمكنه من حمل رسالة ما، أو تمثيل وجهة نظر ما، أو موقف ما، أو فلسفة ما، أو رأى ما، وتجسد ذلك والإفصاح عنه إلى مجتمع ما وتمثيل ذلك باسم هذا المجتمع<<² تلك الموهبة تجعل منه شخص يمتلك الحس النقدي كما تجعله >> على غير استعداد للقبول بالصيغ السهلة، أو الأفكار المبتذلة الجاهزة أو التأكيدات المتملقة والدائمة المجاملة لما يريد الأقوياء والتقليديون قوله، ولما يفعلونه، ويجب ألا يكون عدم الاستعداد مجرد رفض مستتر هامد، بل أن يكون رغبة تلقائية نشطة في الإفصاح عن ذلك علنا >>³.

المثقف هو كل شخص يمتلك معرفة، يتمتع باستقلالية التفكير يحمل رسالة معينة وخاصة يعترف بها أمام مجتمعه علنا يهدف من خلالها إلى نقد الأفكار التقليدية السائدة والتي تعرقل تطور المجتمع، فيساهم بذلك في تكوين ثقافة هذا المجتمع.

¹ ينظر: علي الوردى، خوارق اللاشعور، ص 44، 45.

² ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، ص 43.

³ ادوارد سعيد، صور المثقف، تر: غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 37.

الفصل الأول: تجليات صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار"

1- المثقف المغترب

2- المثقف الناقد يتحول إلى مناضل فاشل

3- المثقف الصوفي

4- المثقف التراثي

5- المرأة المثقفة من التبعية إلى الانفصال الذات

شكل موضوع المثقف تيمة بارزة في الرواية الجزائرية، خصوصا منها تلك التي عالجت فترة العشرية السوداء والمنحة الجزائرية خلال سنوات التسعينات، حاولت رصد مختلف التطورات السياسية والاجتماعية الطارئة على الوضع الجزائري.

بينت هذه الرواية حالة المثقف في تلك الفترة وكيفية تفاعله مع الأحداث المزرية، كما عالجت وضعية المثقف ودوره داخل المنظومة الاجتماعية والسياسية.

تعد رواية " كتاب الأسرار " واحد من الروايات التي سلطت الضوء على المثقف في هذه الفترة رسمت صور متعدد لنماذج معينة من هذه الفئة، سنعرضها فيما يلي مراعيينا في ذلك ترتيب هذه الصور حسب مساحة الخطاب التي تتخذها كل شخصية عكست صورة معين داخل المتن الروائي.

1- المثقف المغترب:

تعد ظاهرة الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان، مرت بمراحل عدة حتى تطورت وظهرت بشكلها الحالي لها أنواع متعددة (الاجتراب الاجتماعي، الاغتراب السياسي، النفسي، ...) وله مظاهر عديدة (كالعجز، اللامبالاة، العزلة....)

الاجتراب >>انسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال عن التلاؤم والاختفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة>>¹.

يحمل الاغتراب هنا معنى مضاد للانتماء أي أن الفرد الذي يعيش حالة اغتراب هو فرد فاقد للانتماء لمنظومة مجتمعية معينة.

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،

والاغتراب يعني أيضا >> حالة انفصال واستيلاء، وهو إحساس الانسان بأنه ليس في بيته أو موطنه أو مكانه (...). إنسان غريب عن ذاته ومجتمعه وفي الفلسفة يعني غربة الإنسان عن جوهره وتنزله عن المقام الذي ينبغي أن يكون فيه <<¹.

فالاغتراب رفض للواقع الاجتماعي المحيط بالإنسان، ذلك لأن هذا الواقع فقد قيمته الانسانية وتلبس بأوضاع يرفضها هذا الإنسان ويرفض التقيد بها والانصياع لها ما أدى إلى عدم تكيفه مع واقعه وبالتالي الانفصال والانعزال عنه.

المثقف المغترب هو الذي >> يؤثر العزلة والانسحاب من دائرة الفعل بحجة أن لامجال في هذا العالم لترجمة مثله وتحقيق تطلعاته وهو مثقف مشلول الإرادة <<².

تجلت هذا النوع - المثقف المغترب - في رواية "كتاب الأسرار" من خلال ثلاث شخصيات مثقفة هي:

- 1- شخصية نذير زاهر (عثمان أيوب): أستاذ جامعي وباحث في مجال التصوف.
- 2- مرزاق توبا: صديق نذير زاهر، أستاذ أدب مقارن بالجامعة، كاتب قصة حياة نذير زاهر.
- 3- الشاعرة ضياء (عاشور أبرها): شاعرة متصوفة وابنة أخ هارون يو صاحب مكتبة بلدة مروانة.

¹ أحمد موصلي، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص217.

² محمود محمد أملود، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص36.

وقد تميزت هذه الشخصيات بمجموعة من الصفات جعلتنا نصنفهم ضمن دائرة المثقف المغترب يمكن اجمالها في النقطتين التاليتين:

أ/ العجز:

يقصد به أن يصبح الفرد >> لا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها (...). لا يستطيع أن يقرر مصيره، فمصيره وارادته ليس بيديه بل تحددها عوامل وقوى خارجية عن ارادته الذاتية <<¹.

ينطبق مظهر العجز على شخصية نذير زاهر الأستاذ الجامعي الذي قرر اجاز بحث حول التصوف وحول الشاعرة ضياء تحديدا، فرحل إلى بلدة مروانة باحثا عن هذه الشاعرة، وبعد وفاة زوجته نهلة يعتقل من طرف الدولة لمدة ست سنوات دون أن يعرف سبب هذا الاعتقال، ومما جاء في الرواية بخصوص هذا الحوار الذي دار بين نذير وإمام بلدة مروانة :

>>- الدولة؟

- نعم

- الدولة كانت تتعقب أثرك

- اغلقوا علي... مدة ست سنوات <<².

ويضيف قائلاً:

>> - بماذا إتهموك ؟ اذا سمحت

- لا أدريلقد اغلقو علي...مدة ست سنوات....

- لا تدري بماذا اتهموك ؟

- أي والله ... لطالما سعيت.... إلى معرفة ما أنا ... متهم به، كل ما أعرفه ...أنها

تهم كبيرة جدا <<¹.

¹ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، ص35.

² إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2007، ص 268.

لم يتمرد نذير على الوضع الذي فرض عليه بل ظل صامتا دون حراك دون سؤال أو احتجاج >> بلا شك لا يوجد ما هو أبشع من أن يعاقب الإنسان دون أن يدري على أي شيء، ومن ذلك لم أتمرد، بل وافقت على بيع ضميري لهم <<².

يخرج نذير زاهر من السجن مقابل تغيير اسمه باسم آخر تفرضه عليه الدولة، يوافق نذير على هذا العرض ليتحول بعدها إلى عثمان أيوب وهذا ما يزيد من غربته أكثر فأكثر >> مات نذير زاهر فأنا إنسان غريب عنه أحمل اسما آخر وبطاقة تعريف لا علاقة لها به أنا أصغر منه بخمس سنوات <<³، يعيش زاهر في حالة من الانفصال عن المجتمع نتيجة الوضع الذي وضع فيه قصرا وتعسفا، يفضل الانعزال في بلدة مروانة بشخصيته الجديدة - عثمان أيوب - بعد أن تاه فترة من الزمن داخل صحراء المسخوطين، فيعيش فيها حياة الدراويش بشعر طويل وملابس بالية.

نذير زاهر نموذج للشخصية المثقفة الانهزامية التي ظلت حبيسة العجز الراضة للتمرد مستسلمة للقمع والظلم المسلط عليها.

ب/ العزلة الاجتماعية:

يقصد بالعزلة الاجتماعية >> شعور الفرد بالوحدة وال فراغ النفسي والافتقاد للأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، كما يصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع <<⁴.

يتجلى هذا المظهر من الاغتراب في المتن الروائي المدروس في شخصية مرزاق توبا وكذلك شخصية الشاعرة ضياء.

مرزاق توبا صديق نذير منذ الطفولة وأستاذ جامعي في مادة الأدب المقارن >> رحلت أقرأ في إحدى الخانات:

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 268.

² المصدر نفسه، ص 207.

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيا الاغتراب، ص 39.

الأدب المقارن

السنة الثالثة

المدرج 01

الأستاذ مرزاق توبا <<¹.

مارس مرزاق الكتابة واشتغل بها عندما اقترح عليه نذير زاهر أن يكتب قصة حياته ومعاناته ويخرجها للناس اذا اختفى أو مات بعد خمس سنوات.

صور الروائي شخصية مرزاق توبا كمثقف مغترب فضل العزلة عن المجتمع والناس حينما جعل هذه الشخصية تسكن في عمارة في الشقة واقعة في الطابق العشرين وحيدة بعيدة عن الناس لا تهتم بالأحداث التي من حولها وتغيرات المجتمع يقول الروائي على لسان مرزاق >> إن كانت حياتي أنا في الواقع قد تميزت بالدرجة الأولى بالتفاهة والرداءة، حياة بددتها بين أربعة جدران في بيت واقع في الطابق العشرين <<².

هناك مقطع آخر يدل صحة تصنيف مرزاق توبا في صنف المثقف المغترب يتمثل في قول الروائي التالي >> انني أعيش في مملكة الصمت من موقعي أرى فقط أشكالاً تتحرك أو ثابتة لا تتحول لدرجة أنها ما عادت تبدو لي موجودة (...). حتى طلاقات الرصاص التي تمزق المدينة (...). لا أسمع من نتائجها إلا من خلال ما يصلني من أخبار في الشارع أو شاشة التلفزيون <<³.

يظل مرزاق توبا وحيدا في منزله- لم يتزوج- حبيس الصمت والعزلة لا يتفاعل إلا مع أوراقه البيضاء وسيالاته >> أتابع الشارع منذ سنسن، كم لو أنني اشاهد الحياة على الأرض من السماء السابعة (...). غارقا في العزلة المطلقة وحيدا <<⁴.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 210.

² المصدر نفسه، ص 15.

³ المصدر نفسه، ص 77.

⁴ المصدر نفسه، ص 40.

تنتهي حياة مرزاق على يد صديقه نذير بعد ان أطلق عليه الرصاص، لينشر بعدها خبر موته في ركن صغير لجريدة إخبارية، دون أن يأخذ هذا الخبر صدى واسع أو اهتمام كبير من قبل أفراد المجتمع .

يعد مرزاق توبا نموذج المثقف الذي يظل قابعا في برجه العاجي لم يتفاعل مع الأحداث الطارئة على المجتمع الجزائري في فترة العشرية السوداء ما أدى إلى شعوره بالاغتراب نتيجة عدم انسجامه وتكيفه مع تلك الأوضاع.

أما الشاعرة ضياء فقد كانت تعيش في عزلة بعيدة عن الناس والمجتمع معتكفة في مكتبة هارون يو تقرأ الكتب وتألف قصائدها الصوفية، عانت ضياء الوحدة داخل بلدتها التي ولدت فيها ووسط أهلها لم تستطع التجاوب مع واقعها >> أنا أيضا يا شيخي أحس بنفسي وحيدة في مروانة هذه البلدة تخنقني، أكتب في سر وخوف هنا لا أحد يقرأ، لا أحد يطالع ما أكتب <<¹.

أورد الكاتب بعض المقاطع من مذكرات ضياء التي حصل عليها نذير زاهر من عمها هارون يو تحكي فيها زيجاتها الأربعة واصفة الحالة النفسية التي تعثر بها، شعور شديد بالوحدة الضياع وعدم التألم مع هذا الوضع الذي غالبا ما ينتهي بالطلاق أو الموت >> العزلة ليس هناك أشد وطأة على النفس من العزلة، أسوأ ايامي قضيتها أثناء مرض مزيان وخلال الشهور التي تلت موته (...). العزلة ابشع سجن يسجن فيه الإنسان <<² .

إن هذا الشعور (الوحدة والفرغ النفسي) الذي تولد في نفس الشاعرة ضياء كان نتيجة لظروف أملها عليها الواقع الاجتماعي والسياسي، فضياء شاعرة تكتب قصائدها وتنتشرها في الجرائد الوطنية باسم مستعار "عاشور أبرها" مما جعلها بعيدة عن الأنظار تعاني الوحدة في صمت، كذلك فقدانها لعنصر الأمن ووقوعها حبيسة الخوف من القتل أو الاغتيال المفاجئ مما زاد من نمو هذا حالة الاغتراب لدى الشاعرة.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار ، ص91.

² المصدر نفسه، ص225.

فضياء هي ابنت مجاهد تم اغتياله من قبل المجاهدين فظل شبح الموت يطاردها >> لقد اغتيل والدها بعد الاستقلال لهذا اختارت اسم عاشور أبرها حتى تستطيع نشر أعمالها. كان أخي محمد رضا يو محاربا معروفا ضد الاحتلال لكن اغتيل على أيدي اخوانه <<¹.

تقرر ضياء الرحيل من مدينة مروانة هربا رفقة لونيس بايو الممثل المسرحي لتتزوج منه وتعيش معه حتى تتوفى.

إن قرار ضياء المتمثل في ترك المدينة والرحيل ورفضها العيش فيها والاستسلام لواقعها ورغبتها في التغيير رغم أن هذا يتنافى مع عادات وتقاليد مجتمعها، إنما هو تصوير من قبل الروائي لحالة المثقف الذي يتمرد على واقعه بغية التغيير محاولا فك القيود للتعبير عن أفكاره وآرائه.

فشخصية ضياء لم تستسلم لحالة الوحدة والضياع التي كانت تعاني منها محاولة بذلك الخروج من العزلة، إلا أنها لم تحقق ذلك لأنها ظلت فاقدة لعنصر الأمن خانقة من الاغتيال.

عالج الروائي ابراهيم سعدي قضيتين مهمتين من خلال وضعية ضياء؛ أولها اغتيال المثقف من طرف السلطة مما يجعله يلجأ إلى نشر أعماله باسم مستعار خوفا من الموت، وثانيها هي قضية تصفية المجاهدين على يد إخوانهم الذين تشاركوا معهم هم الثورة وتحرير البلاد لمجرد أنهم اختلفوا في الرأي، أو بهدف الحصول على مرتبة مرموقة فانتصر المال وانتصرت السلطة على القيم وهانت الأخوة في سبيلهما.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص234.

2- المثقف الناقد يتحول إلى مناضل فاشل:

المثقف الناقد >> هو ذلك المثقف الذي لا يرضى بكل ما يحدث له ولمجتمعه، يحاول أن يفكك المقولات والثوابت ويعيد تركيبها وفق رؤية واعية <<¹ يحاول مخالفة الأفكار السائدة التي أدت إلى ركود المجتمع وتدهوره، والتي شكلت الوضع الحالي لمجتمع معين.

هو أيضا >> ذلك المعارض للوضع الاجتماعي والثقافي والمعارض للراهن السياسي <<²، فالنقد والرفض والمعارضة لا يكون بصورة اعتباطية إنما محكوم بمنطق متكئ على أسس ووسائل تأهله لينقد ويعارض فهو >> يتمتع بالعقل النقدي الذي يعلمه النظر إلى الأشياء والقضايا والذي يمارسه سواء إزاء السلطة أو إزاء المجتمع أو المجموعة التي ينتمي إليها <<³ وهذا ما يكسبه قوة نقدية تجعله >>يعمل على نفس الأوهام التي جعلها كائنات ممسوخة الإرادة <<⁴.

عالج إبراهيم سعدي هذه الفئة من المثقفين في روايته "كتاب الأسرار" حينما وضع شخصية الإمام أمقران بن عبد الله كنموذج يحاكي المثقف الناقد.

أمقران بن عبد الله هو إمام بلدة مروانة الذي عثر على مخطوط يحوي قصة حياة نذير زاهر ليضيف إليه بعض التفاصيل وينشره على شكل كتاب يحمل عنوان: "كتاب الأسرار".

لم يرض بوضع المجتمع في تلك البلدة التي يسيطر عليها كل مظاهر السلبية من صمت مطبق وأشخاص بئسين مستسلمين للحياة هناك عقولهم مشبعة بأفكار خاطئة واوهام لا تمة للحقيقة بصلة، فراح يعد في سبيل ذلك خطب يلقيها على سكان مروانة .

¹ هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص 67.

² لونيس بن علي، ادوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط01، 2018، ص 263.

³ هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص 67.

⁴ اليامين بن تومي، أمراض الثقافة قضايا التشويه الكبرى في الجزائر، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، د.ط، 2017، ص138.

تهدف خطب أمقران إلى تنمية وعي سكان البلدة ونسف هذه الاوهام من عقولهم وتكسير النمطي والسائد من الأفكار المخلوطة كزيارة الأضرحة والأولياء والتوسل لها، النواح على الميت وندبه >> خصصت خطبة يوم الجمعة للحديث عن نواح نساء مروانة المفعج قائلاً لهم بأن لا يجوز لأن نبيكه لا يزال على قيد الحياة (...). حتى لو قدر الله أن يستعيد من نذير زاهر أو عثمان أيوب كما يظنون روحه فلا يحق لنا الحداد أكثر من ثلاثة أيام >>¹.

حاول الروائي من خلال هذه الشخصية أن يصور لنا علاقة المثقف بالسلطة والمجتمع في آن واحد والتي غالباً ما تتميز بالتوتر من جهة والرفض وعدم القبول من جهة أخرى.

فأمقران بن عبد الله يتلقى كثير من الاستهجان نتيجة الخطب التي يلقيها على سكان مروانة، ليتحول إلى موضع للسخرية مصدراً للفضيحة >> خائفاً ألا يبدو عملي سوى فضيحة أخرى ربما أكثر جسامة من خطبة ألقيتها ذات يوم حول حق النساء بالاستمتاع بلذة الجماع >>².

ويقول في موضع آخر حول خطبة أخرى >> وللأسف فإن خطبتي لم تجد لها بينهم غير استنكار واستقباح (...). لقد إغتاضوا كلهم من جعلني نساءهم موضوع خطبتي جاهلين - الحمقى المساكين - أن لا حياء في الدين ولا خوف إلا من رب العالمين >>³.
يلجأ أمقران إلى السلطة لإنقاذه من هذا الوضع البائس الذي حل عليه نتيجة لرفض أفكاره ونبذها رغم صحتها بطلب للتحويل، ولكن دون جدوى لتتخذ السلطة أيضاً نفس موقف المجتمع >> بقيت أكتب الرسائل راجياً في كل مرة النظر في قضيتي لكن الجواب

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 257.

² المصدر نفسه، ص 06.

³ المصدر نفسه، ص 257، 258.

الوحيد الذي تلقّيته، جاء ليوبخني على خطبتي وموعظتي حول حق النساء في الاستمتاع بلذة الجماع <<¹.

وما زاد وضع أمقران تأزما أن الدولة قطعت راتبه الشهري لما زاد إلحاحه على تغيير مكانه أي الرفض >> وما لبثت ان استأنفت كتابة الرسائل إلى العاصمة طالبا كما في الأعوام الماضية تحويلي إلى المهمل في مكان آخر. لكن دون جدوى بالطبع، ولما جاءت فترة لم أعد أتلقي درهما واحدا <<².

كل هذه الممارسات كانت بهدف التضيق عليه ليبدل أفكاره التي لا تتلاءم مع ما هو مطروح في الواقع السياسي والاجتماعي، تلك الأفكار التي جعلته منبوذا غير مرغوب فيه.

وما يدل على ذلك أن الروائي صور أمقران كشخصية مرفوضة من قبل سكان مروانة، رغم أنه عاش فيها مدة من الزمن >> فقد ذهب الأمر بالعامّة حد تذكيرهم إياي بأني غريب عن مروانة لا يشفع لي في نظرهم لا ثلاثون سنة من عمري أفنيتها وسط قفارهم وزواجي من إحدى بناتهم ولا كون بادتهم الجذباء مسقط رأس ولدي راشد ونافع <<³.

هذا الرفض الذي يمارسه المجتمع والصمت والقمع الذي سلطته الدولة إنما هو إخراس لصوت المثقف الذي أخذ على عاتقه مهمة تغيير المجتمع ومحو لمهّمته داخل هذه المنظومة، كما لأنه >> يتسلل إلى مناطق اللامعقول في السلطة ليدهرها ويزعزها أو على الأقل يربحها ليحدث فيها نوعا من العتاب الداخلي الذي يدفعها لتجديد موقفها من العالم ومن مفهوم التغيير الذي ترى فيه السلطة عدوا لدودا لها <<⁴.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 07.

² المصدر نفسه، ص 08.

³ المصدر نفسه، ص 258.

⁴ اليامين بن تومي، أمراض الثقافة قضايا التشويه الكبرى في الجزائر، ص 138.

فالسطة الاجتماعية والسياسية ترفض أي نوع من التغيير، وبالتالي فإن المثقف الناقد يهدد بقاءها بدعوى التغيير الذي يسلطه عليها لذا وجب إبعاده وإسكاته ومحاصرته للمحافظة على بقائها وسلطتها.

يوصل أمقران نضاله؛ لم يستسلم اذا يحاول التمرد على الوضع المسلط عليه من قبل المجتمع (سكان بلدة مروانة) والدولة، فيلجأ إلى خلع ملابس الإمامة >>حينها لم يكن مني إلا أن خلعت الجبة والشاش وعدت إلى ارتداء سروال الجينس وقميصا ذا كمين قصيرين وإلى انتعال بلغة، كأى واحد من الدهماء >>¹.

يلجأ الإمام إلى هذا السلوك احتجاجا على قطع راتبه ليتطور الوضع أكثر فأكثر إلى حد امتناعه عن الآذن وغيابه عن الصلاة >> لقد وجدنتي أستتكف عن القيام بالآذان خاصة آذان الصبح. بل حدث وأن غبت مرتين عن الصلاة بالناس في يومين من أيام الجمعة >>².

امتناع ابن عبد الله عن الصلاة تكرر كم من مرة، ففي كل مرة كان تعبيرا عن الرفض وعدم الرضى؛ كامتناعه مثلا على إقامة صلاة الجنازة على نذير زاهر بعد وفاته لأن سكان مروانة اتخذوه وليا من الاولياء الصالحين اسمه عثمان أيوب يتباركون به ويؤمنون بما يهذي.

كل محاولات ابن عبد الله لم تجد نفعا، فالمجتمع لم يتغير بل حافظ على أفكاره الخاطئة، كذلك السلطة لم تستجب له، فيفشل في أداء دوره كمثقف ناقد ليتحول إلى مجرد مناضل فاشل.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 08.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها

3- المثقف الصوفي:

تعددت تعريفات التصوف حتى تضاربت وتعارضت فيما بينها وذلك يرجع لعدة أسباب أولها أن التصوف أنواع عديدة (التصوف الديني، التصوف الفلسفي...) وثانيها هو أن التصوف طريقة لا تقتصر على الدين الإسلامي فقط بل إنه موجود في ديانات أخرى كالمسيحية واليهودية وحتى الوثنية الهندية، وآخر هذه الأسباب هو كثرة المتصوفة والطرق الصوفية التي ينتمون إليها فكل يعرفه حسب المرجعية الدينية والمعرفية التي ينطلق منها.

التصوف >> مأخوذ من الصفاء والصفاء هو خلوص باطن القلب من الشهوات والكدرات <<¹.

والتصوف أيضا هو >> التجرد تماما من مباحج الدنيا ومفاتها، ومحاولة التخلص من الجسد ذلك الحجاب الكثيف الذي يحول دون التمتع بالنور الإلهي الفياض على الكون، والفناء المطلق في الذات العلية فناء يفترن بالعشق الالهي <<².
التصوف هو الزهد في الدنيا وخلو القلب من الشهوات وملذات الحياة والتعلق بعبادة الله.

فالمتصوفة هم كل من توفرت فيهم صفات معينة يمكن إجمالها في القول الآتي >>تصفية القلب وتطهيره من رجاسته عن غير الله وإخلاص العبودية له وتحرير الجسد ونبذ الدنيا وهجر لذاتها والخشوع والصمت والتأمل <<³.

برز نموذج الصوفي في رواية "كتاب الاسرار" من خلال شخصية هارون يو عم الشاعر ضياء وصاحب المكتبة بمدينة مروانة فقد >> كان صوفيا كبيرا لذا قرر أهل مروانة إقامة قبة له تكريما لذكراه <<¹.

¹ عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط1، 01، 1992، ص11.

² مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 02، 1984، ص228.

³ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البراق، لبنان، د.ط، 2002، ص09.

تميز هارون بصفات المتصوف كقلة الكلام وكثرة التأمل وحبه الشديد للعزلة داخل المسجد للتعب وجلوسه الدائم هناك دون مغادرته >> وجد هارون بالجامع الصغير في مكانه السابق تماما كما لو أنه لم يغادره منذ زيارته الماضية <<².

كذلك الابتعاد عن ملذات الدنيا وشهواتها كالزواج و إنجاب الأولاد >> أن الاكتشاف مكنه من إيجاد أجوبة لبعض جوانب حياة هارون يو لا سيما بشأن امتناعه عن الزواج بوسعه الآن أن يستنتج بأنه فعل ذلك بغية التجرد من كل ما يشد البشر إلى هذه الحياة النساء والبنون <<³.

يعد هارون مثقف صاحب معرفة وعلم واسع كثير الاطلاع على أمهات الكتب التي تتحدث عن التصوف وغيرها من مواضيع ككتاب غاية الأمان في المناقب والكرامات وأصحاب الشيخ أحمد تجاني وفتح الباري للإمام بابن حجر العسقلاني كذلك كتاب ابن خلدون الشهير وكتب أخرى جمعها في مكتبته بعد أن جاء بها من رحلاته إلى الشرق طالبا العلم والمعرفة.

انطلاقا من هذا الوصف يمكن أن نعد هارون يو نموذج للمثقف الصوفي؛ فالمثقف الصوفي هو كل من امتلك المعرفة والعلم له رؤيا للحياة والأوضاع من حوله تتجلى فيه صفات الصوفي كصفاء القلب من الدنس، الزهد في الدنيا وملذاتها والابتعاد عن الشهوات، التأمل الشديد في ملكوت الله، ميله الشديد للانعزال والصمت.

قسم المتصوف بوزيد بومدين المثقفون المتصوفون إلى ثلاثة أصناف الصنف الأول يتمثل في >> المتصوفون الذين لا ينتمون إلى من الطرق يمثل التصوف بالنسبة لهم

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 144.

² المصدر نفسه، ص 84.

³ المصدر نفسه، ص 115.

حالة معينة من الصفاء الروحي مطلعون على التراث الصوفي ومختلف أمهات الكتب الصوفية رغم أنهم لا ينتمون إلى زاوية معينة >>¹.

أما الصنف الثاني فقط مثله >> مثقفون ينتمون إلى أكثر من زاوية يعرفون أفعالهم وطقوسهم ولا يفقهون الفعل الصوفي بشكله العام >>².

أما الصنف الثالث فيمكن تسميتهم بالطرفيين الانتهازيين لا يملكون زادا صوفيا حاولوا ركب موجة التصوف بهدف الظهور في المشهد الثقافي والسياسي لتحقيق أهدافهم الخاصة.³

لنضيف بعد هذا التقسيم صفة أخرى لشخصية هارون يو حسب ما صوره إبراهيم سعدي في روايته ليصبح مثقف صوفي لا ينتمي إلى زاوية معينة.

وظف إبراهيم سعدي هذا النوع من المثقف - المثقف الصوفي - في روايته لإبراز وضعية بغض المثقفين خلال وبعد الأزمة التي مرت بها الجزائر في سنين الجمر من القرن الماضي خصوصا مع انتشار الفوضى وكثرة القتل والعنف وانتشار الفتن إذ فضل بعض المثقفين اللجوء إلى الزوايا لحماية أفكارهم وأنفسهم من الاغتيال.

كما أن التطرف الذي طغى خلال تلك الفترة كان له الأثر البالغ في بروز هذا النوع من المثقفين >> التطرف الذي رأيناه منذ بداية الثمانيات وبلغ أوجه في التسعينيات، أثبت فشله كقائد بديل لهذه الأمة لهذا فإن الإنسان العادي وقبل ذلك النخبة المثقفة وجدت في الزوايا ملاذا لهم ولأفكارهم وآلامهم، لهذا أصبحنا نشهد (...). رجوعا صادقا من هؤلاء إلى

¹ هاجر ق حياة، أي فعل ثقافي منتظر للزوايا وأي مساهمة ثقافية للمثقف المتصوف؟، جريدة الفجر، تاريخ النشر: 2011-02-20، <https://www.djazairss.com/alfadjr/174987> ، 2020-02-20، سا: 19:38.

² المرجع نفسه.

³ ينظر: المرجع نفسه.

الزوايا من أجل الخروج من الأزمات التي يمرون بها¹.

عالج سعدي شخصية المثقف الصوفي الذي فضل أن يعتزل المجتمع للمحافظة على دينه من الفتن والتطرف الشديد الذي صبغ الإسلام بعبادات دخيلة أولاً، والبعد عن المشاركة في المجريات السياسية ثانياً، فختار بذلك طريق التصوف دون أن ينتمي إلى زاوية، لان بعض الزوايا في هذه الفترة كانت ذات وجهات سياسية وجدت لتحقيق بعض الأهداف التي سطرته السياسة، وتكييف أفكار المثقف بحسب ما يناسبها ويخدم مصالحها، وهذا ما يتنافى مع الدور الأساسي للمثقف.

¹هاجر ق حياة، أي فعل ثقافي منتظر للزوايا وأي مساهمة ثقافية للمثقف المتصوف؟

4- المثقف التراثي:

يعد المثقف التراثي ذلك الذي >> يتوسل التراث لتغيير الواقع ويرى النموذج الأمثل للحضارة قد أنجز وانتهى وانه من الأفضل للبشرية محاكاة الماضي ومحاولة تمثيله وإعادة تشكيله <<¹.

قدم محمد رياض وتار في كتابه "شخصية المثقف في الرواية العربية السورية" نموذج المثقف التراثي الى نمطين: النمط الاول المثقف الانتهازي المستتر بالتراث >>تميز هذا النمط بالانغلاق على الماضي والتحالف مع السلطة ضد الناس وبمنح آيات القرآن الكريم التفسير الذي يخدم مصالحه ومصحة السلطة ويطل الناس <<².

أما النمط الثاني : المثقف المتمسك بالتراث وأهم ما يميز هذا النمط أنه يرفض الاحصار في الماضي يدعو مناصرو هذا النمط إلى إعادة ترتيب الماضي في ضوء الحاضر، لا يتأمرن مع السلطة ضد الناس بل إن هدفهم الأول هم الناس والمجتمع³.

طرح سعدي نموذج المثقف التراثي محاكيا بذلك النمط الثاني أي؛ المثقف التراثي المتمسك بالتراث وذلك من خلال شخصية أمقران بن عبد الله تحديدا بعد تحوله من مثقف ناقد إلى مثقف يهتم بالتراث نتيجة لفشله في تعميم أفكاره لتغيير مجتمع مروانة، وكذلك اكتشافه لمخطوط نذير زاهر الذي يحوي تفاصيل حياته وجريمة قتل مرزاق توبا.

أمقران ذلك الإمام الذي يهتم بمكتبة هارون يو بعد وفاته واختفاء نذير زاهر، المكتبة تحوي على عديد من كتب التراثية القيمة يسيطر عليها الصمت والفراغ، بابها مقفل لا يزورها سوى الغبار خالية من أي جنس بشري >> كنت أمر ببابها الخشبي القديم المغلق

¹ محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د.ط، 1999، ص 96.

² المرجع نفسه، ص 104.

³ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

منذ أعوام في كل مرة أشعر بالمفكرين والفلاسفة والأدباء والعلماء والمتصوفة يعانون في صمت معرضين للجرذان والغبار والتلف >>¹.

اعتبر الإمام هذه المكتبة إرثاً قيماً وجب المحافظة عليه من تآكل والضياع بفعل الغبار والزمن، وحمائته من هذا الحزن المخيم، ولكنه يرى أن كل محاولاته فشلت إذا إن الحزن لا يزول إلاّ غذا عم المكان بالزوار المتعطشين إلى المعرفة ليقبلوا صفحات الكتب؛ مما جاء في حديث أمقران بخصوص ذلك >> بقيت أحاول قدر الإمكان نفض الغبار عنهم لكن على الرغم من اعتياري الحرص عليهم وحمائتهم من الموت والتلف مهمتي الأولى (...). فلا أعتقد أنني وفقت في إزاحة غشاوة الحزن عن وجوههم فقد كنت أعرف أن لا شيء يحييهم أكثر من ملاطفة الأصابع لأوراقهم >>².

برزت صورة أمقران كمثقف متمسك بالتراث مدافع على الآثار والتاريخ أيضاً من خلال الرحلات التي كان يقوم بها إلى الصحراء بحثاً عن حضارة مروانة التي اندثرت >> بقيت أتردد بمفردي في القبور المنسية وأمضي وحدي على ظهر دابة صغيرة أملاكها (...). ذاهبا للبحث عن الحضارة الغابرة في الفلاة الجذباء حيث لا شيء يتحرك إلا أنا وحماري >>³.

سعى ابن عبد الله إلى البحث إلى البحث عن هذه الحضارة ليكشف عراقية هذه المدينة المنسية الصامته ولينفض غبار الحزن عنها، مستندا في ذلك الى وجود كتاب ألف ليلة وليلة ونسخة من القرآن الكريم يعودان إلى حوالي القرن 14 من الزمن الغابر في هذا المكان المعزول >> كانت توجد في هذا البقاع حضارة يدل عيبيها الكتابان العائدان ربما إلى ذلك العهد المنقرض اليوم >>⁴.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 06.

² المصدر نفسه، ص 296.

³ المصدر نفسه، ص 308.

⁴ المصدر نفسه، ص 299.

إن تحول أمقران إلى مثقف تراثي يدافع عن التاريخ وبيحث عن الحضارة ما هي إلا امتداد لصورته الأولى - المثقف الناقد - التي حاول الكاتب من خلالها إبراز دور المثقف الناقد في تغيير المجتمع ونسف الأوهام عنه.

لما فشل في أداء هذا الدور لجأ إلى الماضي باحثاً عن الحقيقة محاولاً إعادة الحياة لبلدة مروانة عن طريق إثبات حضارتها القديمة، لإعادة بث روح الحياة فيها من جديد بعد أن هاجر سكانها خوفاً من كارثة تحل بهم (الزلازل أو طوفان) محاولاً بذلك تغيير نظرة الناس لهذه البلدة الحزينة .

5- المرأة المثقفة من التبعية إلى انفصال الذات :

شكلت المرأة تيمة بارزة في بعض الروايات العربية المعاصرة، تناولت هذه الأخيرة قضية تحرير المرأة من الاضطهاد الاجتماعي المسلط وسيطرت السلطة الذكورية عليها، كما صورت صراع المرأة والرجل في إبراز ذاتها المطموسة من طرف العنصر الذكوري الذي احتقرها وسلب هويتها.

إن المتتبع للرصيد الروائي العربي بإمكانه أن يلاحظ، رسم الكتاب لشخصية المرأة المثقفة واختلافهم في طريقة تصوير مقاومة المرأة المثقفة واختلاف تصديها لوضعها الاجتماعي فقد >> تفاوتت مقاومة الشخصيات النسوية المثقفة للشرط الاجتماعي الذي فرض عليها من شخصية إلى أخرى، فثمة شخصيات تحدد الظروف التي وضعت فيها ونجحت في تجاوزها، وحققت وجودها (...). وثمة شخصية مثقفة عجزت عن المواجهة لم تستطع مقاومة شرطها الاجتماعي المفروض عليها فاستسلمت لعوامل القهر المحيطة بها وخضعت لعالم الذكور الذين استنزفوا روحها وجسدها <<¹.

نهلة زوجة نذير زاهر أستاذة جامعية، مثال للشخصية المثقفة العاجزة التي ظلت قابعة تحت السلطة الذكورية ولم تحاول التحرر منها أو التمرد عليها.

تعيش نهلة حياة مليئة بالشقاء والحزن تحت رحمة نذير زاهر، الذي كان يمارس عليها أشكال التعذيب النفسي وحتى الجسدي يقول معترفا لطبيبه النفسي >> يحضرنى الآن كذلك بأني في يوم من الأيام ضربتها ضربا مبرحا حتى إذا وقعت أرضا تحت قدمي <<².

تعاني نهلة تأزما نفسيا نتيجة لامبالاة نذير وعزلته وانشغاله بأبحاثه حول التصوف أو التفكير في جذوره وأجداده المجرمين، ما يزيد حالتها تأزما أن نذير زاهر سلبها أبسط حقوقها >> لقد حلمت نهلة طوال حياتها بأن ترزق بأبناء فلم أمنح لها طفلا أو طفلة، لقد

¹ محمد رياض وتار، شخصية المثقف الرواية السورية، ص51.

² إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص183.

اتخذت أولاد الجيران أبناءها <<¹، لقد منعها من أن تصبح أمًا ليضع حد لسلسلة أجداده المجرمين.

تعيش نهلة منفصلة إلى ذاتين؛ ذات واقعية (تمثلها شخصية نهلة الحقيقية)، وذات مثالية (مثلتها شخصية الشاعرة ضياء التي تحاول نهلة تقليدها)* يحدث هذا الانفصال نتيجة انشغال زوجها بالشاعرة الصوفية ضياء وابتعاده عنها، فتسعى في سبيل إرضاءه وإخراجه من حالة الصمت التي دخل فيها إلى تقليد هيئة ومظهر الشاعرة >> لقد اكتشفت ترك شعرها مسترسلا على منوال شعر ضياء (...). لقد دهنته هذه المرة بالأسود ليزداد شبيهه بشعر الشاعرة المتوفاة. صبغت مثلها أيضا ثغرها بأحمر شفاه وأخفت عينيها وراء نظارتين سوداوين <<².

تحاول نهلة تحقيق ذاتها المسلوبة من طرف زوجها، فتحول نفسها إلى صورة للشاعرة التي اعتبرتها نموذجا مثاليا، ولكن دون أن تكسر قيود تبعثها للرجل، ودون أن تخرج من حدود عبوديته، وهذا ما فشلت المرأة المثقفة في تحقيقه.

فلقد أكد محمد رياض وتار في كتابه شخصية المثقف في الرواية السورية أن جل >> المحاولات التي قامت بها الشخصيات النسوية المثقفة من أجل الخروج من وضعية القهر التي فرضها الرجل عليها باءت بالإخفاق، وتعود المرأة إلى حضيرة الرجل، ترسف في قيود عبوديته <<³.

اختيار نهلة نموذج الشاعرة لإبراز ذاتها كان مربوطا بنذير زاهر سعيًا لإرضائه ولفلت انتباهه فتعيش مشتت بين ذاتها الواقعية وذاتها المثالية.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 199.

* الذات الواقعية تمثل واقع الشخص بالفعل، بينما الذات المثالية تمثل ما يعتقد الشخص ويفكر بأن يكون عليه وتستخدم كنموذج يساعدنا في تطوير طاقاتنا وتحقيق ذواتنا، بابر إنجلر، مدخل إلى نظريات الشخصية، تر: فهد بن عبد الله بن دليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، طائف، د.ط، 1991، ص 127.

² إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 104.

³ محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية السورية، ص 52.

صور الروائي نهاية هذه الشخصية بضياعها وسط البحر نتيجة الطوفان الذي غزى أرجاء المدينة، هذا التصوير يعكس واقع المرأة المثقفة وفشلها في تحقيق ذاتها وتغلبها على شرطها الاجتماعي ما أدى إلى انفصال ذاتها ودخولها في حالة من الضياع والتشتت.

كشفت رواية "كتاب الأسرار" الغطاء على فئة **المثقفين المهمشين** المنبوذين من قبل السلطة السياسية والاجتماعية المتمثل في شخصية لونيس بايو، ممثل مسرحي وزوج ضياء، رفض عم ضياء زوجها لأنه يعتقد ان والد لونيس شارك في اغتيال والد ضياء. يعيش لونيس حياة بائسة لا يستطيع توفير مسكن لنفسه، فيتخذ غرفة صغيرة في فندق رخيص مسكننا له ولا يستطيع دفع أجزتها، ومما جاء في هذا الصدد في المتن الروائي قوله: >> صاحب هذا الجص لا يفتأ يهددني بالطرد، أوضح وهو يسحق سجارته الرخيصة في منفضة فاض حدها يبدو أنه لم تفرغ في يوم من الأيام (...). كل ما هناك أنني لم أستطع دفع دينار له في الشهور الأخيرة <<¹.

لم يواجه هذا المثقف وضعه المزري كما أنه لم يتمرد عليه، قبل أن يعيش على هامش المجتمع والتزم الصمت والسكون بل لجأ أيضا إلى الحانات للشرب ونسيان كل آلامه >> كان نذير قد عاد إلى الشرب بعد رحلته من جاما. وقد التقى بلونيس بايو في حانة اعتاد الرجل الممثل القديم التردد عليها <<².

يتخلى لونيس في النهاية عن اسمه ويعيش حالة من التشرد على قارعة الطريق، فكل من يناده باسمه لا يجيب وإن سئل ينفي معرفته لصاحب هذا الاسم (لونيس).

قدم الروائي صورة **للمثقف المزيف**؛ ذلك المثقف >> الذي يظل سجين المصالح الضيقة لوظيفته (الجامعي) أو لطبقته أو حزبه <<³ من خلال شخصية عيسى الزوج

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 67.

² المصدر نفسه، ص 65.

³ لونيس بن علي، إدورد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، ص 263.

الأول لضياء الذي كان يعمل أستاذا في التعليم الثانوي، ورضوان نسيب الطبيب النفسي الذي ذهب نذير زاهر للعلاج عنده.

كلا الشخصيتين بدت داخل الرواية تمارس عملها لمجرد الانتفاع به من الناحية المادية لا غير، دون أن يرسم الروائي لهما ملامح تدل على انشغالهم بمجتمعهم.

كما أن شخصية عيسى بدت مناهضة للفعل الثقافي رافضة له، معتبرة إياه مجرد مضية للوقت فقد قام بتمزيق مخطوطات ضياء >> أقدم عيسى على تمزيق بعض مخطوطاتي (...) إلى اليوم لم افهم سر غيرته من اهتمامي بالكتابة <<¹.

لم تتأثر هذه الشخصيات بما يدور حولها من أوضاع سياسية واجتماعية لا بالسلب ولا بالإيجاب ظلت تمارس عملها دون أن تساهم في تطوير الثقافة أو التأثير بها بل ظلت قابعة في ظل المصالح المادية لعملها لا غير.

من خلال عرضنا لصور متعددة من المثقفين حاكي بها الروائي نماذج مهمة منهم (المثقف المغترب، الناقد، الصوفي، التراثي...) استطعنا تسجيل مجموعة من الملاحظات:

1- تتفق جميع الصور في إبراز حالة الثقف السلبي المنهزم الذي تخلى عن دوره الأساسي في خدمة قضايا مجتمعه نتيجة لفقدانه حالة الأمن والاستقرار بفعل الأزمة الجزائرية وما جرتها من أحداث.

2- تعاني كل الشخصيات داخل الرواية من أزمة الهوية*:

فشخصية نذير زاهر تولدت لديه هذه الأزمة منذ صغره تحديدا عند هروب أمه مع عشيقها واعتقاد أبيه أنه ابن زنا، تفاقمت هذه الأزمة عند اكتشافه أنه من سلالة مجرمين.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الاسرار، ص124.

* أزمة الهوية: هي كل الوضعيات الفردية أو الجماعية التي تولد نوعا من الخلط والالتحديد للمحددات الذاتية لأننا من خلال التأثير في شعور الاحساس بالوحدة في المعنى والاستمرارية التي يشعر بها الفرد في الوضعية العادية التي يعيشها في حياته العامة، لحسن العقون، التثاقف، الهوية واضطرابات الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2015/2014، ص141.

شخصية نهلة تولدت لديها أزمة الهوية عندما تقمصت شخصية الشاعرة ضياء، أما ضياء فقد تجلت أزمة هويتها في كونها تحمل اسمين أحدهما حقيقي (ضياء) والثاني تنتشر به قصائدها الشعرية (عاشور أبرها).

وبالنسبة للإمام أمقران كان نتيجة أنه اعتنق المذهب الماركسي في شبابه، ليعمل بعدها كإمام في إحدى القرى النائية .

أما شخصية مرزاق توبا فقد عانت هي الأخرى من أزمة الهوية حيث يبدو هذا جليا في التصرفات والسلوكيات التي يقوم بها (انعزال، عدم مشاركته في الأحداث التي مست مجتمعه...) إلا أن الكاتب في المتن السردى بقى متحفظا على أسباب هذه الأزمة ولم يظهرها.

نتجت هذه الأزمة عند شخصيات الرواية نتيجة تركيبة المجتمع الجزائري الذي يحوى ثقافات مختلفة (ثقافة عربية/ وثقافة اجنبية) ما أدى إلى ضياع بعض القيم الاجتماعية كذلك انفتاح هذا المجتمع على ثقافات خارجية بصورة مفاجئة ما ولد مجموعة من الايديولوجيات المتصارعة >> فعلمية النثقاف العنيفة التي ميزت الجزائر الحديثة هي المسؤولة في جزء كبير عن أزمة الهوية لدى الأفراد <<¹.

3-عمل الروائي على إنهاء دور المثقف عن طريق: إما موت الشخصية المثقفة (فنذير زاهر يموت في بلدة مروانة بعد استحضار طويل، ضياء تنتهي حياتها أثناء وضعها لمولودها الأول أما نهلة فيأخذها الطوفان وتضيع جثتها، هارون يو يموت بكل هدوء داخل المسجد...) أو بالتشرد والضياع كلونيس بايو أو بالعودة إلى الماضي تحديدا أين الحضارة أي الماضي الزاهر كشخصية أمقران بن عبد الله.

¹ لحسن العقون، النثقاف، الهوية واضطرابات الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري، ص177.

الفصل الثاني: مظاهر التجريب وتشكل صورة المتقف في رواية "كتاب الأسرار"

- 1- المخطوط وشكل رواية "كتاب الأسرار"
- 2- تعدد الرواة وهاجس الكتابة عند المتقف في رواية "كتاب الأسرار"
- 3- انفتاح الرواية على الأجناس النثرية واغتراب المتقف في رواية "كتاب الأسرار"
أ/المذكرات الشخصية
ب/الرسائل
- 4- حضور الحدث التاريخي في رواية "كتاب الأسرار" وتمرد المتقف

مرت الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة بمراحل وتطورات شكلية وموضوعية عديدة منذ نشأتها، شهدت هذه المراحل أساليب مختلفة للكتابة الإبداعية، وآليات سردية متنوعة.

يهدف الروائي من خلال هذه الأساليب والآليات لاكتشاف شكل روائي جديد مخالف للأشكال التقليدية المألوفة والسائدة في الساحة الأدبية، يصوغ من خلالها الكاتب الواقع ومتغيراته الطارئة والجديدة وفق رؤيته الشخصية وتحت ظاهرة تسمى "التجريب".

التجريب في عمومه >> يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف ويغامر في قلب المستقبل <<¹.

تختلف مظاهر التجريب من روائي إلى آخر؛ فقد يعمد الروائي إلى عدم خضوع السرد لبنية التسلسل والتعاقب بل إلى نظام خاص قوامه التداخل والتشابك وكسر خطية الزمن الحكائي، استعارة النسق الشعري بصوره وتراكيبه، توظيف العجائبي ومنطق الحكيم الشعبي، اقحام وقائع من التاريخ، التأثير ببعض تقنيات السينما والمسرح، التخلص من هيمنة الصوت الواحد، تعدد الخطابات والأساليب داخل الرواية....²

احتوت رواية "كتاب الأسرار" ضمن بنيتها السردية على بعض مظاهر التجريب التي سنحاول توضيحها في هذا الفصل من دراستنا:

¹صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة، ط01، 2005، ص03.

² عبد الحق عمرو بلعابد، سرديات المحنة (الرواية الجزائرية، من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب)، مجلة الآداب، م27، عدد02، جامعة الملك سعود، الرياض، 2015، ص46.

1-المخطوط وشكل رواية "كتاب الأسرار":

لجأ الروائي إبراهيم سعدي" إلى استخدام المخطوط * لبناء رواية "كتاب الأسرار"؛ حيث عمد على إيهام القارئ بأن الرواية عبارة عن مخطوط لقصة حياة أستاذ جامعي يدعى نذير زاهر جزؤه الأول مكتوب بخط زميله مرزاق توبا والثاني بخط يد نذير زاهر.

تبدأ الرواية بعثور أمقران بن عبد الله على مخطوط يحمل عنوان "قصة الجريمة" داخل مكتبة هارون يو التي أصبحت ملكا لنذير زاهر بعد وفاة هارون يقول الروائي على لسان بن عبد الله في الجزء الأول من الرواية: >> وهكذا تسنى لي ذات يوم الوقوع على اكتشاف لم أتوقع حدوثه في يوم من الأيام: العثور على مخطوط بعنوان "قصة الجريمة">>¹.

ليباشر بعدها الكاتب في تسريد هذا المخطوط وعرض محتواه حين يجعل الإمام يقرأ ما جاء فيه بدافع فضولي ليعرف حقيقة نذير زاهر >> لكن ما حدث هو أنني حسبته مخطوطا قديما على غرار نسخة موجودة هناك في المكتبة، (...) فصار فضولي بطبيعة الحال وللتأكد من الاكتشاف تعين عليا الاطلاع على الأسطر الأولى على الأقل. لكن شدني إليه للأسف، (...) فظللت أقرأ المخطوط سبعة أيام كاملة، دون الخروج ولا مرة واحدة إلى البلدة، حتى إذا ما بلغت نهايته، ظهرت لي الحقيقة">>².

* المخطوط: مخطوطة أصلية مكتوبة بخط المؤلف (...) أي نص مكتوب باليد على رق أو ورق، مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص343.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص11.

²المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يستخدم كذلك الروائي حيلة أخرى ليوهم القارئ بحقيقة هذه القصة حين يجعل شخصية الإمام تقوم بجمع هذا المخطوط مع مذكرات الشاعرة و بعض الرسائل، ويرسلها إلى العاصمة، تحديدا لدار نشر معروفة لينشر تحت عنوان "كتاب الأسرار" مرفقة بشهادتين كتبهما أمقران واحدة كتبها قبل كتابة المخطوط وأخرى بعدها تلبية لوصية نذير زاهر >> لكن بعثت كما طلب مني إلى دار نشر معروفة المخطوط حيث يتحدث عن جريمته، مع ما كتبه مرزاق توبا عن حياته، وكذلك شهادتي الخاصة عن الفترة التي قضاها في مروانة بعد قتله صديقه، واضعا للمؤلف بكامله عنوانا كاملا من عندي هو "كتاب الأسرار". لقد نفذت وصيته، مرسلا الكتاب من العاصمة بمناسبة أول زيارة لي لها منذ موته <<¹.

فالقارئ المنتبِع والمتمعن الجيد في الرواية يكتشف شكل الرواية غير المؤلف، فالرواية تتكون من:

1- شهادة أمقران بن عبد الله (الجزء الأول): يحكي قصة الإمام في البلدة وكيف عثر على المخطوط.

2- قصة الجريمة: هذا الجزء مكتوب بقلم مرزاق توبا يحوي قصة نذير زاهر منذ صغره وبعض من مذكرات الشاعرة وبعض الرسائل.

3- مخطوط نذير زاهر: يحكي كذلك جزءا من قصة نذير زاهر تحديدا الفترة التي قضاها في السجن، وبعد خروجه وتغيير اسمه لعثمان أيوب وفيه أيضا قصة قتله لمرزاق توبا.

4- شهادة أمقران بن عبد الله (الجزء الثاني): قصة استحضار عثمان أيوب (نذير زاهر) وكيف تحول إلى ولي من أولياء الله الصالحين.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 279.

الفصل الثاني : مظاهر التجريب وتشكل صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار"

وهذا ما يجعلنا نصنف هذه الرواية ضمن صنف الرواية التجريبية حيث؛ ابتكر الكاتب شكل روائي جديد عن طريق استخدام المخطوط المتخيل ما أكسبها شكلا بنائيا مخالفا للسائد، حين جعل قصة المخطوط (كتابته، العثور عليه، واكتشاف محتواه، ثم العمل على نشره) مركز الأحداث ومحور دورانها ونموها داخل المتن السردي.

2- تعدد الرواة وهاجس الكتابة عند المثقف في رواية "كتاب الأسرار":

إن الأحداث المشكلة للرواية أو الحكاية مهما كان نوعها سواء كانت حقيقة أم متخيلة تحتاج إلى >> متكلم يروي الحكاية ويدعوا المستمع إلى سماعها بالشكل الذي يرويها به، هذا المتكلم هو الراوي أو السارد، لا حكاية بلا راو يرويها>>¹.

فالراوي أو السارد هو >> الواسطة بين العالم الممثل والقارئ وبين القارئ والمؤلف الواقعي، وهو العون السردى الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية>>².

يعد الراوي/ السارد عنصرا أساسيا داخل النسيج الحكائي والركيزة التي تنتقل بها الحكاية للمتلقى أو القارئ فهو >> عنصر قصصي متخيل شأنه شأن سائر العناصر المكونة للأثر القصصي، فإن دوره أهم من أدوارها جميعا لأنه صانها الوهمي وعلّة وجودها>>³.

الراوي هو عنصر متخيل يستعمله المؤلف الواقعي لينقل بواسطته الأحداث المشكلة للعالم الروائي إلى القارئ والمثقف.

تتجلى علاقة هذا العنصر - الراوي - بالمتن السردى من خلال الموقع الذي يتخذه وفق حالتين >> إما أن يكون الراوي خارج نطاق الحكى، أو أن يكون شخصية حكاية موجودة داخل الحكى، فهو إذا راوي ممثل داخل الحكى>>⁴.

¹ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان الناشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002، ص95.

² محمد القاضي والآخرين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط01، 2012، ص195.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، الدار البيضاء، 1991، ص49.

فيكون الأول غير مشارك في القصة التي تحكى أما الثاني فهو مشارك في القصة التي تحكى.¹

لجأت بعض الروايات الجزائرية المعاصرة إلى تقنية تعدد الرواة بدلا من قول القصة أو الحكاية على لسان راوي واحد >> يتناوب الأبطال أنفسهم على الوقائع واحدا بعد الآخر، ومن الطبيعي أن يختص كل واحد منهم بسرد قصته أو بسرد قصة مخالفة من حيث زاوية النظر لما يرويها الآخرون، (...) إن تعدد الرواة يؤدي غالبا إلى تعدد وجهات النظر حول القصة الواحدة<<².

يعد المتن السردي قيد الدراسة - رواية "كتاب الأسرار" - واحد من النماذج الروائية التي استخدمت هذه التقنية.

وكل إبراهيم سعدي مهمة الحكى ونقل أحداث الرواية للقارئ إلى عدة رواة مخالفا بذلك الشكل التقليدي للرواية العربية التي ينهض راو واحد بمهمة السرد داخلها، يتميز هؤلاء الرواة بكونهم شخصيات مشاركة داخل الرواية على اختلاف أدوارهم ومساحة الخطاب التي تتخذها كل شخصية.

الرواية كما سبق وأشرنا تنقسم إلى أربعة أقسام، تولى ثلاث رواة مهمة السرد داخلها:

- القسم الأول: أمقران بن عبد الله.

- القسم الثاني: مرزاق توبا .

- القسم الثالث: نذير زاهر.

¹ينظر: محمد بوعزة، تحليل النص السردي، منشورات الضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط01، 2010، ص85.

²حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الروائي، ص49.

- القسم الرابع: أمقران بن عبد الله.

ففي كل مرة يطلعنا راو معين على جزء من قصة نذير زاهر ثم يختفي هذا الراوي ليسلم زمام الحكى إلى راو آخر ليكمل بقية الأحداث.

تبدأ الرواية بحديث أمقران عن تفاصيل عثوره على المخطوط واكتشاف حقيقة نذير زاهر، كما يحوي هذا الجزء بعض الأحداث من حياة الإمام (عمله في مروانة، طلاق زوجته وتزوجه من احدى بنات مروانة...).

يحوي كذلك اعتراف الإمام بأنه كان يتبنى المذهب الماركسي >> كنت أحمل في تلك الأيام أربعة مثالب: الشباب، العزوبية وغريب عن البلدة. أمل الرابع وقد بقي سرا مجهولا إلى اليوم عند أهل مروانة (...). كنت في مراهقتي - السادسة عشر بالضبط- تابعا ناشطا من أتباع النبي الملحد ماركس<<¹.

ينتقل بعدها الراوي إلى تسريد المخطوط وما جاء فيه من أحداث على لسان مرزاق توبا بعد أن طلب منه نذير زاهر أن يكتب قصة حياته وينشرها بعد اختفائه >>لم يعد نذير زاهر إلى الظهور إلا في بعض أحلامي. يمكنني بالطبع الاكتفاء بهذه الفترة ليحق لي أن أفعل بحياته أن أفعل ما طلب مني، أي أن أرويها للناس. لكن الحقيقة أنني ما كنت لأؤلف هذا الكتاب عنه لولا احساسني أنه مات فعلا هذه المرة<<².

يحاول مرزاق توبا أن يسرد كل تفاصيل حياة نذير: (قصة هروب أمه، جريمة قتل أبيه لزوجته وهيبه، زواج نذير زاهر من نهلة، اكتشافه لحقيقة أسلافه المجرمين واحساسه الدائم بانتمائه لهم، موت نهلة، ملاحقة الأمن لنذير زاهر...) إلا حدث واحد كان دائما يؤجل سرده >>لا أقوى مرة أخرى عن الكشف عن ذلك الفصل المخرج من

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص07.

²المصدر نفسه، ص11.

حياة نذير. وأقر من جديد تأجيل الكلام عنه إلى فصل آخر. يزعجني ذلك كثيرا في الحقيقة. لماذا تعوزني الشجاعة كلما تعلقت المسألة بذلك الأمر؟¹

يظهر بعدها صوت نذير زاهر كراو ليكمل بقيت الأحداث ويسد الفراغات التي لم يروها مرزاق توبا كقصة حبسه التعسفي واتهامه بقتل السياسي رشيد بن حواء في الفترة التي اختفى فيها واصفا حاله داخل السجن: >> كان أهم ما يحدث في السجن ينحصر في مجيء الماء مرة في الأسبوع لمدة نصف ساعة، ثم في جلبة قفل الكوة الصغيرة القائمة في وسط الباب المعدني حين تفتح لي ليقدم لي من خلالها ما آكله (...). تفتح مرة واحدة كل أسبوع<<².

وكذلك قصة جريمة مرزاق توبا التي لم يعلن عنها في القسم السابق من الرواية >> الأمر يتعلق بمحاولته قتلي ذات يوم. هذا ما لم يجرأ على ذكره في المخطوط (...). لقد جئت يومها أرف خبر زواجي بنهلة، فلم يكن منه إلا أن استل سكيننا في المطبخ واندفع نحوي ومن حسن الحظ أنه لم يخطر في بالي محاولة تهدئته آنذا (...). وإنما فعلت ما يجب القيام به الفرار فراح يلاحقني في الدرج والمديفة في قبضته، إلا أنه لم يستطع إدراكي<<³.

كثيرا ما كان نذير ينفي ما رواه مرزاق خصوصا في ما يتعلق بنهلة وتحويل مظهرها إلى الشاعرة ضياء >> لم أطب من نهلة أن تعطي نفسها لضياء<<⁴ مؤكدا أن هذا من صنع خيال مرزاق >> كل ما ذكره مرزاق توبا بهذا الصدد نتاج خياله وأوهامه وحتى خيبته. لم يقل توبا كل شيء في الحقيقة. هو نفسه أقر بذلك أكثر من مرة<<⁵.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار ، ص50.

² المصدر نفسه، ص189.

³ المصدر نفسه، ص201، 202.

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يقتل نذير مرزاق توبا ليدخل بعدها في حالة نفسية سيئة وتيه في صحراء المسخوطيين حتى يصل إلى بلدة مروانة ليتخلى بعدها عن مهمة السرد وبسلمها لأمقران بن عبد الله.

يوصل بن عبد الله سرد الحكاية منذ لحظة انتهاء قراءة المخطوط وخروجه إلى سكان البلدة حتى وفاة نذير زاهر وطباعة قصة حياته مع بقية المخطوطات ضمن كتاب بعنوان "كتاب الأسرار" واصفا الحالة التي أصبحت عليها البلدة بعد اعتقاد السكان أن هناك طوفان سيقضي عليها نبيهم منهم عثمان أيوب من خلال تمتامته أثناء استحضاره >>لقد استمر نذير مروانة حتى أصبحت البيوت خاوية فارغة (...)<< كان أصحابها يتربصون مجيء الزلزال والطوفان بإيمان وصبر واستسلام من ينتظر قدوم يوم القيامة>>¹.

تميزت الأصوات السردية داخل الرواية بكونها شخصيات مثقفة، شكل تدوين قصة نذير زاهر ونشرها هاجسهم الأول والوحيد ليحققوا ذاتهم بفعل الكتابة ويضمنوا لأنفسهم البقاء في ظل الأوضاع الأمنية والسياسية السائدة في تلك الفترة فالكاتب >>يؤرخ لأزمة المثقف الذي أصبح هدفا لعمليات العنف، فلم تبقى له سوى الكتابة التي يحاول أن يعمق علاقته بها، لتصبح بمثابة المساعد بمفهوم غريماس على تحقيق الذات لفعل الوجود>>².

مكننت هذه التقنية الروائي من تقديم صور متعددة للمثقفين ومن جوانب مختلفة، كما جعلت كل الشخصيات المثقفة داخل الرواية تعبر عن ذاتها وهن مواقفها منحتها فرصة لتدوين الحقائق التي يمكن أن يطالها التحريف أو التزوير أو يطويها النسيان.

¹ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 280.

² آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المماثل إلى المختلف، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، د.ط،

2006، ص 171.

2- انفتاح الرواية على الأجناس النثرية واغتراب المثقف في رواية "كتاب الأسرار":

الرواية جنس أدبي يتميز بالتطور المستمر، متغيرة لم تقتصر على شكل وحيد منذ نشأتها، ذلك لإنها كما يؤكد مخائيل باختين >> النوع الأدبي الوحيد الذي يزال طور التكوين، والنوع الوحيد الذي لم يكتمل بعد <<¹.

هذا اللااستقرار جعل الرواية تنفتح على بقية الفنون التعبيرية وتتأثر بها >> فما يميز الرواية هو كونها مجال تركيب، خطابي، وسردي، يفتح على مختلف الأجناس الأدبية ليس في التوظيف فقط، ولكن في طريقة التوظيف، والتعامل مع هذه الأجناس وذلك من خلال دمجها في صميم البناء الفني للرواية، كالمقاطع الشعرية، والرسائل، والقصص، والنصوص الدينية، والقصص الصحفية (...) والتي تصبح بنية أساسية في الرواية <<².

تستقي الرواية من الفنون التعبيرية الأخرى (الشعر، المسرح، السينما، المقالات الصحفية، الرسائل، الرسوم التشكيلية...) ما يفيدتها في تشكل بنيتها السردية من تقنيات وأساليب مختلفة (ك تقنية المونتاج السينمائي، الفلاش باك...)، وقد تلجأ إلى توظيف هذه الفنون داخل المتن الروائي بحيث يحافظ كل فن على خصوصيته الأجناسية فتزد في الرواية مقاطع من الشعر مثلا أو مجموعة من الأخبار الصحفية أو خط دينية وحتى بعض الرسائل...

أدخلت رواية "كتاب الأسرار" مجموعة من الأجناس الأدبية داخل بنيتها والمتمثلة

فيما يلي:

¹ عبد اللطيف الزكري، وظيفة الصورة في الرواية النظرية والممارسة، ص36.

² عبد الحق عمرو بلعابد، سرديات المحنة (الرواية الجزائرية، من تجريب الكتابة إلى كتابة التجريب)، ص53.

أ/المذكرات الشخصية:

تعد المذكرات أحد الأجناس الأدبية القريبة من السيرة الذاتية، يهتم المؤلف فيها بحكاية الحوادث التي عاشها دون أن يهتم بتصوير أناه.¹

المذكرات الشخصية هي >> تسجل المرء لبعض حوادث حياته الماضية في مكان أو ظرف ما <<².

وظف الكاتب "إبراهيم سعدي" المذكرات الشخصية، كتبها إحدى شخصيات الرواية "ضياء" الملقبة بعاشور أبرها، تنتقل هذه المذكرات إلى نذير زاهر عن طريق هارون يو مع بقية المخطوطات التي كان يحتفظ بها والتي >> بدت عليها مخلفات السنين بشكل واضح. لقد بهت بياضها قليلا، بعضها متآكل الحافة، يكاد آثار الطي يقسمها نصفين <<³.

تظهر المذكرات داخل المتن السردى وفق شكلين:

الشكل الأول: ورد في القسم الثاني من الرواية (قصة الجريمة) يتميز بخط ذو حجم مختلف عن بقية النص الروائي يستطيع القارئ أن يميزها من خلال عبارة يضعها الروائي في أعلى الصفحة التي تحوي نص المذكرات >> من مذكرات الشاعرة <<⁴.

هذه المذكرات التي أخذها نذير من هارون تحوي بعض الأحداث من حياة ضياء قبل هروبها من قرية مروانة.

¹ ينظر: إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2014، ص 215.

² مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 346.

³ إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 90.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص124، 137.

الشكل الثاني: ورد في القسم الثالث من الرواية (مخطوط نذير زاهر) تتميز بكونها مكتوبة بخط ذو حجم يشابه حجم خط باقي المتن الروائي، يستطيع القارئ أن يميزها من خلال عبارة << الورقة الأولى >>¹.

هذه المذكرات لم يسلمها هارون لنذير زاهر مع بقية المخطوطات بل احتفظ بها لفترة من الزمن << لقد جعلني أتذكر يوم جاء هارون يو إلى العاصمة لأجلي خصيصا، قادمًا إليها لأول مرة منذ ثلاثين سنة. لقد جلب معه ذلك أوراقا من آخر كراس مذكرات ضياء، الشاعرة المغمورة، انتزعها وحافظ عليها عنده إلى أن قرر وضعها تحت تصرفي هي الأخرى>>².

تقع في حوالي ثمان صفحات وتحوي أحداث من حياة الشاعرة بعد هروبها من القرية زواجها بلونيس بايو حتى وفاتها، وصلت هذه الأوراق إلى يد هارون عن طريق لونيس << كان لونيس قد منحي هذه الأوراق حتى يعذبني>>³.

إن هذه المذكرات ليست تدوين لسيرة الشاعرة ضياء بل هي عبارة عن تسجيل لهواجس وأحاسيس التي تراودها أثناء عزلتها وتسجيل لتلك الأحداث التي أثرت على نفسية الشاعرة.

¹ ينظر: إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 224.

² المصدر نفسه، ص 224.

³ المصدر نفسه، ص 232.

ب/ الرسائل:

تعد الرسالة من أقدم الفنون النثرية وتعرف على أنها: >> سلسلة منقولة من الرموز بهدف إيصال معلومة<<¹ يرسلها شخص (مرسل) إلى شخص آخر (مستقبل) يعبر فيها عن احساس معين أو يطلب منه طلب معين (المحتوى)، وتختلف في ذلك الأداة (الورق والحروف، أو وسائل الكترونية ...)

وظف "إبراهيم سعدي" فن الرسائل داخل روايته في ثلاث مواضع هي كالتالي:

الرسالة	موضوعها	الصفحة
رسالة ضياء إلى التوحيدي.	الشاعرة تشكو للشيخ حالها من احساس شديد بالغبية واختيارها للعزلة قصرا.	ص90، 91، 92.
رسالة هارون يو إلى نذير زاهر.	هارون يو يهب المكتبة بكل ما تحويه إلى نذير زاهر.	ص109، 110.
رسالة نذير زاهر إلى أمقران بن عبد الله.	-نذير زاهر يخبر أمقران بأنه مجرم. -نذير يطلب من أمقران نشر المخطوط الذي يحوي قصة حياته وقصة جريمته. -نذير زاهر يهب المكتبة لأمقران.	ص276، 277.

¹مصلح الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1999، ص333.

جميع هذه الرسائل كتبت بنفس خط بقية المتن الروائي أقحمها الكاتب دون إشارة سابقة يتعرف عليها القارئ بواسطة مجموعة من الخصائص، فقد استوفت هذه النصوص الثالثة بعض خصائص فن الرسائل حيث:

1-الابتداء بالبسملة: مثال الرسالة الثانية تبتدأ ب: >> بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وعلى من والاهم إلى يوم الدين<<¹.

2-ذكر إسم المرسل إليه/ المستقبل: مثال ورد في الرسالة الأولى

>> رسالة إلى التوحيدي

شيخي العزيز المحترم<<².

3-التوقيع باسم المرسل في آخر الرسالة: مثال ذلك رسالة زاهر إلى أمقران.³

4-ختام الرسالة بدعاء: >> وإنني أرجو الله العلي الكريم أن يديم صحتك وعافيتك وأن يحفظك من كل سوء وشر أنت وذريتك وأن يرعى مروانة وأهلها ويجعل أيامها خيرا وبركة<<⁴، وهذا ما قد جاء في الرسالة الثالثة.

قد شكلت هذه الرسائل خصوصا بالنسبة لضياء محاولة لخروجها من حالة العزلة والاعتراب التي لازمتها، عن طريق تحاور مع الآخر الشيخ التوحيدي لكن هذا الخروج لم يتحقق كون التوحيدي شخص بعيد عليها بمسافة قرون وقرون من الزمن إذ فقد الحوار أحد أطرافه وبالتالي لم يحقق هدفه.

اعتبرت هذه الوثائق (المذكرات/ الرسائل) بمثابة شاهد رسمي على اغتراب المثقف باعتبار أنها كتبت بيده فهي اعتراف منه على وضعه الذي آل إليه يحوي كل

¹إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، 109.

²المصدر نفسه، ص90.

³ينظر: المصدر نفسه، ص277.

⁴المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

هواجسه واحاسيسه والمقطع الذي يدل على هذا ما ورد في مذكرات الشاعرة >>أصبحت لا أطيق العزلة ليس هناك أشد وطأة على النفس من العزلة. (...). العزلة هي أشنع سجن يحبس فيه الانسان<<¹، أما الرسائل فقد ورد فيها >> أحس بنفسي وحيدة في مروانة هذه البلدة تخنفتي أكتب في سر وخوف هنا لا أحد يقرأ. لا أحد يطالع ما أكتب. أقرأ فقط قصائدي في بعض الأحيان على عمي، حين يعود من رحلته إلى المشرق<<².

تتميز هذه المذكرات والرسائل الموظفة من طرف الروائي بكونها وثائق متخيلة استعملها الروائي كحيلة روائية لإيهام القارئ بواقعية وضعية المثقف في الزمن الذي تجري فيه أحداث الرواية.

¹إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص224، 225.

²المصدر نفسه، ص91.

4-حضور الحدث التاريخي في رواية "كتاب الأسرار" وتمرد المثقف:

يتأسس العمل الروائي انطلاقاً من مرجعيات واقعية يتأثر بها الكاتب بحيث >>بيدع الروائي كونا خيالياً يتكون في آن واحد من عناصر متخيلة وعناصر واقعية<<¹ .

يعد التاريخ من بين المرجعيات الواقعية، إذ يهدف الروائي إلى استعادة التاريخ وإعادة تشكيله في قالب فني متخيل لإنتاج دلالات جديدة وليس لتأريخ تلك الأحداث أو تدوين الحقائق وسير الشخصيات التاريخية فتلك مهمة المؤرخ لأن الرواية >>أداة تجعل التاريخ نص معتمداً لكنه ثانوي لأنه المطلوب هو ما بين السطور لا السطور نفسها، المؤلف يوهم قارئه بأنه مجرد ناقل، غير أنه لا ينقل السطور التي دونها المؤرخون بل ما تكشف له عند المرآة السحرية مما غفل عنه المؤرخون<<² .

إن توظيف التاريخ لا يكون بصورة اعتباطية إنما مرتبط بإيديولوجية الكاتب ووعيه بالتاريخ وبشروط وتقنيات الفن الروائي وكذلك بالرسالة التي يريد توجيهها للقارئ، مما جعل طرق استحضار الأحداث التاريخية تختلف من روائي إلى آخر يمكن إجمالها في ثلاث الطرق التالية:

الطريقة الأولى: استحضار الوقائع والشخصيات التاريخية كما هي للتعبير عن الواقع.

الطريقة الثانية: استحضار التاريخ في وضع جو تاريخي تتحرك ضمنه شخصيات غير تاريخية لم يتعرض لها التاريخ بدقة كما تعرض للشخصيات التاريخية (الاهتمام بالحدث والزمن التاريخي لا الشخصية)

¹ محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخيل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط01، 2008، ص67.

² المرجع نفسه، ص125، 126.

الطريقة الثالثة: تقوم على أساس استحضار شكل سردي وتقديمه في حلة جديدة بالإعتماد على مادته الحكائية (مثل نوار اللوز لواسيني الأعرج حين استحضر فن السيرة الشعبية)¹.

التفتت رواية "كتاب الأسرار" إلى التاريخ الإسلامي القديم تحديدا فترة حكم الدولة الفاطمية، ليأخذ منها الروائي قصة صاحب الحمار ويوظفها داخل نصه. وردت هذه القصة على لسان الصوفي عيسى بن قرين الذي ذهب إليه مرزاق توبا ليسأله عن سر اختفاء نذير لمدة طويلة.

يبدأ الشيخ عيسى بسرد حكاية صاحب الحمار عندما يسأله مرزاق عن الجامع الذي يسكن فيه >> - على ما يبدو، الجامع قديم جدا، الشيخ؟
- بعض المؤرخين يقولون بأنه يعود إلى زمن صاحب الحمار، في القرن الرابع هجري.

- هل هو صوفي مثلك شيخ؟

- صاحب الحمار؟ لا لم يكن صوفيا، ولكنه أقام دعوته على النقشف والمساواة بين المسلمين في ولاية الحكم وفي غير ذلك <<².

صاحب الحمار شخصية حقيقة واقعية ورد ذكرها في كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي وصاحب الحمار هو >> أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنّي الرّناتي (...). هبط من جبل الأوراس يدعو إلى الحق بزعمه (...). فخرج على الشريعة ودخل إفريقية، وخرّب مدنها ودوخها، وقتل من أهلها ما لا ينحصر <<³.

¹ ينظر: وهيبة عجيري، تضافر الجانب الفني والتاريخي في روايات "واسيني الأعرج"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016/2017، ص32-34.

² إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص159.

³ ابن عذار المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ. ليقوي بروقتسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص216.

روى بن قرين كل تفاصيل قصة صاحب الحمار منذ أن دعا إلى محاربة الشيعة وإقامة هذه الدعوة على التقشف والمساواة بين المسلمين وخروجه للجهاد على ظهر حماره حتى انتصاره وتخليه عن التقشف لبسه للذهب والحلي واستبدال الحمار بالفرس إلى غاية خسارته في إحدى معاركه وقبض عليه وقتل وصلب وسلخ جلده وحشيت بالتبن.

تتطابق كل هذه الأحداث التي وردت في الرواية مع ما قاله المراكشي في كتابه ومن أمثلة ذلك قصة موته، يقول صاحب البيان المغرب: >> فمرت هزيمة على أبي زيد (...). وأثنى بالجراح، قبض عليه حيًّا، فجعل في قفص من حديد، وجيء به إلى المنصور إلى المهديّة وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برحمه (...). وأمر بسلخه وحشى جلده قطنا وصلبه<<¹.

قام سعدي باستعارة هذه القصة من التاريخ القديم ليعبر بها عن الواقع الذي تتشابه أوضاعه المنتشرة مع الأوضاع السائدة في الدولة الفاطمية آنذاك من حيث صراع الطوائف، كما ينفذ ذلك الحاكم الذي يتخلى عن حياته العادية وينسى معاناة شعبه بمجرد توليه السلطة ليعيش حياة الترف والبذخ.

يدعو سعدي من خلال هذه القصة المثقف للتمرد ومحاربة الصراعات باعتبارها مهمة المثقف الأولى والأخيرة، فهو يأخذ على عاتقه التوعية والنقد وتعرية الواقع والتمرد على الجهل وتجنيد قلمه سلاحاً لفض هذه الصراعات فاختيار الكاتب لمرزاق توباً ليتلقى هذه القصة دون الشخصيات الأخرى كان بهدف تنبيه القارئ إلى دور مرزاق المتروك.

ساهمت تقنية التجريب في تشكل صور متعددة ومختلفة للمثقفين داخل الرواية قربت للقارئ رؤيا المثقف الذي عايش العشرية السوداء ووضعه في تلك الفترة.

¹ابن عذار المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص 220.

الختام

أفضى البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- تأخذ الصورة الروائية خصوصيتها وتكتسب مميزاتها بانتمائها إلى جنس الرواية، تأتي معبرة عن أفكار وأحاسيس الكاتب تخضع لمنطق وتقنيات الرواية وتنقل للقارئ بواسطة اللغة.

- استطاعت رواية "كتاب الأسرار" أن تمثل صور متنوعة لشخصية المثقف (المثقف المغترب، المثقف المناضل، المثقف التراثي، المثقف الصوفي، المثقف المهتمش...)

- تعد جميع الصور التي رسمها الروائي مجموعة من أفكاره وآرائه التي عبر بها عن نقده لحالة المثقف التي آل إليها (الصمت، الوحدة، العزلة...) في ظل الظروف الاجتماعية الطارئة.

- غياب المثقف العضوي إذ أن جميع الصور التي قدمها الكاتب للمثقف اختلفت باختلاف شخصياتها ولكنها اشتركت في جانب واحد كونها شخصيات عاجزة ضعيفة تخلت عن دورها في بناء مجتمعها ومواجهة قهر السلطة.

- إن الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر ولدت لدى المثقف شعور بالاغتراب والوحدة السبب الذي أدى إلى عزوفه عن مناقشة قضاياها الاجتماعية.

- تعد رواية "كتاب الأسرار" رواية تجريبية بامتياز، خرجت عن المؤلف وكسرت حدود السائد من حيث الشكل والموضوع؛ فمن حيث الشكل استخدمت تقنية المخطوط، تعدد الرواة، استحضر التاريخ، توظيف مختلف الأجناس الأدبية، أما من ناحية الموضوع فلم يقدم الكاتب الصورة النمطية التي رسمها الكتاب والمفكرين للمثقف ذلك الشخص المتعالي الذي يملك كما من المعرفة والعلم بل قدم صورة جديدة لهذا المثقف.

الملاحق

1- من هو إبراهيم سعدي؟:

إبراهيم سعدي كاتب وروائي جزائري، من مواليد 1950، حامل لشهادة دكتوراه في الفلسفة، درس في جامعة مولود معري بتيزي وزو، اتجه سعدي إلى مجال الأدب

ليسجل أعمال ابداعية متعددة في مجال الرواية نذكر منها:

-فتاوي زمن الموت

- بوح الرجل القادم من الظلام (حائزة على جائزة مالك حداد)

- بحثا عن آمال غربتني

- صمت الفراغ

- الآدميون (2018)

- فيلا الفصول الأربعة (2019)

أما في مجال النقد الأدبي فله:

- كتاب "مقالات ودراسات في الرواية (يضم عموما مجمل ما نشره في الصحف

والمجلات أو شارك به في الملتقيات في مجال الأدب)

- كتاب "مقالات ودراسات في المجتمع العربي"

- كتاب "مقالات ودراسات في المجتمع الجزائري وثقافته"

يمثل الكتابين الأخيرين مجموعة من مقالات أسبوعية حول المجتمع الجزائري والمجتمع

العربي عموما في الثقافة والمجتمع والسياسة والتي نشره في الملحق الأدبي " آفاق"

التابع لجريدة " الحياة" اللندنية، وكذلك في جريدة "الشروق" الجزائرية

أما في مجال الترجمة فقد ترجم "صيف إفريقي" لمحمد ديب من الفرنسية إلى العربية وكتبا لمولود قايد حول تاريخ البربر، إضافة إلى ترجمة نصوص دراسية في مجالات مختلفة.*



* ينظر: إبراهيم سعدي، رواية كتاب الأسرار ، الغلاف الخلفي للرواية ، بعد غياب طويل... إبراهيم سعدي يعود من "الجاحظية" برواية "الآدميون" ، <https://www.eldjazaironline.net/accueil/> ، 2020-03-10 ، سا: 09:38.

2- ملخص الرواية:

رواية "كتاب الأسرار" للروائي إبراهيم سعدي رواية جزائرية صدرت سنة 2007 عن دار الحكمة، تقع الرواية في 309 صفحة وتدور أحداثها في زمن العشرية السوداء وما عقبها من أحداث.

تحكي الرواية قصة حياة أستاذ جامعي وباحث في مجال التصوف يدعى نذير زاهر من مرحلة الطفولة والمراهقة، نقلت بذلك الأزمة النفسية والانطواء الذي كان يعاني منه نذير في تلك الفترة نتيجة الظروف الصعبة التي مر بها من هروب أمه مع عشيقها إلى دخول أبيه لسجن بعد ان قتل زوجته الجديدة وهيبة

ينتقل بعدها الكاتب إلى مرحلة شباب نذير لياشر سرد الحكاية منذ خروج الأب من السجن واختياره العيش في بلدة فاكو بدل من العيش مع ابنه نذير وزوجته نهلة، حتى يموت وحيدا هناك.

يكشف نذير أنه من سلالة قتلة فجده الأكبر مجرم قاتل، وعمه المجاهد في صفوف جيش التحرير الوطني قتل صديقه وتزوج بزوجته، تزداد حالة نذير تأزما ويدخل في متاهة من الأسئلة عن أصله وجذوره، وما يزيد حالته سوءا هو شعوره الدائم بأنه سيصبح مجرما.

يقرر نذير زاهر انجاز بحث حول التصوف بعد عثوره على قصائد لشاعر مغمور يدعى عاشور أبرها وهنا تبدأ رحلة البحث عن هذا الشاعر، حتى يذهب قرية مروانة ويلتقي بهارون يو عم الشاعر عن طريق الممثل المسرحي لونيس بايو، ليكتشف بعدها أن الشاعر امرأة تدعى ضياء.

ضياء فتاة ماتت وعمرها خمسة وعشرون سنة أثناء وضعها لمولودها الأول عاشت في قرية مروانة، كانت تحب لونيس بايو لكن عمها لم يرض زواجها منه لأنه

ابن قاتل أبيها، تزوجت ثلاث مرات، لتهرب بعدها مع الممثل المسرحي إلى العاصمة وتتزوج به ثم تموت هناك.

ينشغل نذير زاهر بقصة ضياء مما يجعل زوجته تدخل في حالة من التشتت والضياع لا تنتهي إلا بغرقها وضياعها وسط البحر.

في هذه الفترة يكتشف نذير زاهر أنه مراقب من طرف الأجهزة الأمنية فيطلب من صديقه مرزاق توبا الاستاذ الجامعي كتابة قصة حياته ونشرها ان لم يظهر لمدة خمسة سنوات، بعد أن زوده بقصائد الشاعر و ومذكراتها وكل المخطوطات التي من شأنها أن تساعده.

يحبس نذير زاهر لمدة ستة سنوات بتهمة اغتياله للسياسي رشيد بن حواء، يعود بعدها باسم عثمان أيوب لتجمعه الصدفة مع صديقه مرزاق، يحاول نذير استعادة المخطوطات وما كتبه مرزاق عن حياته ثم يقتل صديقه.

يختار نذير زاهر مواصلة حياته في قرية مروانة باسم عثمان أيوب ذلك الدرويش الذي جاء بالخير للقرية حتى يموت بعد استحضر طويل ليدفن كولي من أولياء الله الصالحين.

يكتشف إمام البلدة حقيقة نذير زاهر بعد عثوره على المخطوطات وقراءتها، لكنه لم يصرح بالحقيقة أمام سكان القرية، بل يكتفي بجمع المخطوطات وطباعتها على شكل كتاب بعنوان "كتاب الأسرار" تلبية لوصية نذير.

تنتهي الرواية بهجرة سكان القرية لاعتقادهم أن هناك طوفان أو زلزال سيقضي عليهم، لتولى الامام مهمة البحث عن الحضارة المندثرة هناك بعد تفرغه من العمل .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2007.

ثانياً: المراجع العربية

2- أحمد موصللي، لؤي صافي، جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

3- آمنة بلعلی، المتخيل في الرواية الجزائرية من المماتل إلى المختلف، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، د.ط، 2006.

4- بشير خلف، مؤنسات الثقافة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين ميلة، الجزائر، د.ط، 2013 .

5- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء، 1991 .

6- شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية و القصة و السينما، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط01، 2010 .

7- صلاح فضل، لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة، ط01، 2005 .

8- صلاح مؤيد العقبی، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، دار البراق، لبنان، د.ط، 2002 .

9- عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، بيروت، ط01، 1992.

- 10- ابن عذار المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ. ليقى بروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 11- علي الوردي، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة، شركة الرّواق للنشر المحدود، بيروت، ط05، 2017 .
- 12- عمار بلحسن، أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر؟، دار الحدائثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1986.
- 13- عبد اللطيف الزكري، وظيفة الصورة في الرواية النظرية والممارسة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2016.
- 14- عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، بيروت، لبنان، ط01، 2009 .
- 15- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2003.
- 16- لونيس بن علي، ادوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط01، 2018 .
- 17- محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخيل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط01، 2008 .
- 18- محمد أنقار، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية "صورة المغرب في الرواية الاسبانية"، مكتبة الادريسي للنشر والتوزيع، تطوان، المغرب ط01، 1994.
- 19- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، منشورات الاختلاف، دار العربية للعلوم الناشرون، الرباط، الجزائر، بيروت، ط01، 2010 .

20- محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د.ط، 1999.

21- محمود محمد أملود، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، 2010 .

22- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2013 .

23- اليامين بن تومي، أمراض الثقافة قضايا التشويه الكبرى في الجزائر، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، د.ط، 2017.

ثالثا: المعاجم والقواميس

24- عصام نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2009.

25- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان الناشر، بيروت، لبنان، ط01، 2002.

26- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط02، 1984.

27- محمد القاضي والآخرين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط01، 2012 .

28- مصلح الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط01، 1999.

29- ابن منظور، لسان العرب، مج4، مج9، دار الصادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

رابعاً: المراجع المترجمة

29- ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد العناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2006.

30- _____، صور المثقف، تر: غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

31- إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، تر: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2014.

32- بابر إنجلر، مدخل إلى نظريات الشخصية، تر: فهد بن عبد الله بن دليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، طائف، د.ط، 1991.

33- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2012.

خامساً: مجلات العلمية

34- مجلة الآداب، م27، عدد02، جامعة الملك سعود، الرياض، 2015،

سادساً: الرسائل الجامعية

35- لحسن العقون، التناقف، الهوية واضطرابات الصحة النفسية لدى الشباب الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2015/2014 .

36-وهيبة عجيري، تضافر الجانب الفني والتاريخي في روايات "واسيني الأعرج"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2017/2016 .

سابعا: المواقع الالكترونية

37- <https://www.djazairess.com/alfadjr/174987>

38- <https://www.eldjazaironline.net/Accueil/>

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
أ-ب	مقدمة
11-04	مدخل: ضبط المفاهيم
05	1- مفهوم الصورة الروائية
08	2- مفهوم المثقف
35-12	الفصل الأول: تجليات صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار"
13	1- المثقف المغترب
20	2- المثقف الناقد يتحول إلى مناضل فاشل
24	3- المثقف الصوفي
28	4- المثقف التراثي
31	5- المرأة المثقف من التبعية إلى انفصال ذات
54-36	الفصل الثاني: مظاهر التجريب وتشكل صورة المثقف في رواية "كتاب الأسرار"
38	1- المخطوط وشكل رواية "كتاب الأسرار"
41	2- تعدد الرواة وهاجس الكتابة عند المثقف في رواية "كتاب الأسرار"
46	3- انفتاح الرواية على الأجناس النثرية واغتراب المثقف في رواية "كتاب الأسرار"
47	أ/المذكرات الشخصية
49	ب/الرسائل
52	4- حضور الحدث التاريخي في رواية "كتاب الأسرار" وتمرد المثقف
56	الخاتمة
61-58	الملاحق
67-63	قائمة المصادر والمراجع
69	الفهرس

المخلص:

يسعى هذا البحث إلى بيان خصوصية الصورة الروائية وإبراز دور المثقف عن طريق تقصي صورة المثقف ورصد نماذجه المختلفة في رواية "كتاب الأسرار" لإبراهيم سعدي، كما وضحت تأثير تقنية التجريب في تشكل هذه الصورة داخل المتن الروائي قيد الدراسة.

Summary

This research seeks to clarify the specificity of the Novelist image and highlight the role of the intellectual by investigating the image of the intellectual and observing his various forms in Ibrahim Saadi's novel "The Book of Secrets", as well as the influence of the experimentation technique on the formation of this image within the novelist text under study.